مدخل إلى العلوم المعرفية
اللسانيات والأدب، موضوعان معرفيان

بشير إبريـر
جامعة باجي مختار -عنابة
bachir.ibrir@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 2018/06/18 تاريخ القبول: 2018/10/08

الملخّـص

يعالـج هـذا البحـث العلـوم المعرفيـة في ماهيتهـا ونشـأتها وأهميتهـا، وعلاقتهـا بتضافـر التخصصـات والمفاهيـم ومنهـا: اللسـانيات والأدب بوصفهـما موضوعـين معرفيـين بينيَّـيْن، قـد انهـارت الحواجـز بينهـما. وقـد أسـهم البحـث عـن المعنـى في تطويـر البحـث اللسـاني والأدبي بمدارسـهما المختلفـة؛ مـن ذلـك الانتقـال مـن الدلالـة التركيبيـة إلى الدلالـة المعرفيـة، ومفهـوم البنيـة التصوريـة المجسـدة، والاسـتعارة التصوريـة، وتمثيـل المعنـى الموسـوعي، والفضـاءات الذهنيـة، ومفهـوم الشـعريات المعرفيـة، والسرديـات المعرفيـة وعلاقتهـما بعلـوم المعرفـة بصفـة عامـة وباللسـانيات المعرفيـة والأدب بصفـة خاصـة.

الكلمات المفاتيح:

علـوم معرفيـة - لسـانيات - أدب - بنيـة تصوريـة - شـعريات معرفيـة - سرديـات معرفيـة.

Introduction aux sciences cognitives: linguistique et littérature deux sujets cognitifs

Résumé

Cette recherche traite du sujet des sciences cognitives. Son essence, ses débuts, son importance, et sa relation avec plusieurs disciplines et concepts dont la linguistique et la littérature en tant que deux sujets cognitifs complémentaires.

La recherche du «sens» a contribué à l'évolution des recherches en linguistique et en littérature et cela dans toutes les différents écoles, à savoir: la transition de la sémantique syntaxique à la signification cognitive, le concept de la structure et la métaphore conceptuelles, la représentation du sens élargi, les espaces de l'esprit et le concept de la poétique cognitive, et la narratologie cognitive, et leurs relations avec les sciences cognitives en général et la linguistique cognitive ainsi que la littérature en particulier.

Mots clés:

Sciences cognitives - linguistique - littérature - structure conceptuelle - poétique cognitive - narratologie cognitive.

Introduction to cognitive sciences linguistic and literature two cognitive subjects

Abstract

This research deals with the cognitive sciences in terms of their origin, growing up and importance; instead of their relationship with the combination of disciplines and concepts, such as: linguistics and literature as distinct subjects of knowledge, the barriers between them have collapsed. The search for meaning contributed to the development of linguistic and literary research in its various schools including: the transition from structural significance to cognitive significance, concept of embodied conceptual structure, conceptual metaphor, representation of encyclopedic meaning, mental spaces, and cognitive narratives with their relation to knowledge science in general and linguistics knowledge science in general and linguistics knowledge and literature in particular.

Key words:

Cognitive sciences - linguistics- literature - conceptual structure - cognitive poetic - cognitive narrative.

مقدمة:

نبحث في هذا الموضوع العلوم المعرفية من حيث كونها نسقا علميا جديدا ظهر في أمريكا. يتأسس على تضافر التخصصات وتشغيل المفاهيم في بناء المعرفة، وبناء التصورات الذهنية وفضاءاتها المتنوعة، ومنها النشاط اللغوي، وكيفية اشتغاله مع النشاط الذهني للإنسان وتصوراته ورؤيته للعالم.

ولذلك سنعالج العناصر الآتية:

- ماهية العلوم المعرفية ونشأتها وأهميتها وعلاقتها بتضافر التخصصات والمفاهيم ومنها اللسانيات والأدب بوصفهما موضوعين معرفيين ينتميان إلى المعرفة البينية، وكيف انهارت الحواجز بينهما، نظرا للدور المهم الذي أداه البحث عن المعنى في تطوير البحث اللساني والأدبي بمدارسهما المختلفة؛ من ذلك الانتقال من الدلالة التركيبية إلى الدلالة المعرفية، ومفهوم البنية التصورية المجسدة، والاستعارة التصورية، وتمثيل المعنى الموسوعي، والفضاءات الذهنية، ومفهوم الشعريات المعرفية والسرديات المعرفية وعلاقتهما بالعلوم المعرفية بصفة عامة، وباللسانيات المعرفية والأدب بصفة خاصة.

1. في ماهية العلوم المعرفية: Sciences cognitives

العلوم المعرفية نسق علمي معرفي جديد، نشأ وترعرع في أمريكا. يتأسس على تضافر التخصصات وتكامل المعارف، وتشغيل المفاهيم في بناء المعرفة.

وهو حقل علمي يجمع بين معارف وتخصصات علمية متنوعة مثل: الفلسفة، واللغة، والمنطق، وعلم النفس المعرفي، واللسانيات، والأنثروبولوجيا، وعلوم الأعصاب، والفيزياء، والبيولوجيا، وعلوم الحاسوب، والذكاء الاصطناعي.

ويتخذ من التفكير المفهومي أساسا له في دراسة العقل الإنساني من حيث استعداداته وكفاءاته العقلية المختلفة: كيف يستدل ويدرك ويفهم ويحلل ويؤوّل ويتمثّل المعرفة ويمثّلها. ومن حيث التصورات الذهنية وفضاءاتها المتنوعة، ومنها النشاط اللغوي، وكيفية اشتغاله في علاقته بالنشاط الذهني للإنسان وتصوراته

ورؤيته للعالم، وما يمكّنه من التلاؤم مع محيطه.

يتمثل كل ذلك في اللغة بوصفها خصيصة إنسانية مركبة معقدة لها خصوصياتها في تكوين التصورات النظرية عن اللغة في حد ذاتها، وعن الكلام، وعن اشتغال عملية الفهم التي تعد نشاطا ذهنيا في أساسها، وعن المعرفة كيف تتكوّن[1].

وقد حدّد «لايكوف[2] G. Lakoff (1987)» علم المعرفة بأنه «حقل جديد يجمع بين ما يعرف عن الذهن في اختصاصات أكاديمية عديدة، علم النفس واللسانيات والأنثروبولوجيا والحاسوبية، وهو ينشد أجوبة مفصلة عن أسئلة من قبيل: ما هو العقل؟ وكيف نعطي لتجربتنا معنى؟ ما هو النظام المفهومي؟ وكيف ينتظم؟ هل يستعمل جميع البشر النظام المفهومي نفسه؟ وإن كان الأمر كذلك فما هو هذا النظام؟ وإن لم يكن كذلك ما هو بالتحديد ذلك الشيء المشترك بين البشر جميعهم في ما به يفكرون؟ فالأسئلة ليست جديدة، ولكن بعض الأجوبة جديدة»[3].

إن للعلوم المعرفية هدفاً يتعلق بوصف الاستعدادات الرئيسية، وقدرات العقل البشري وشرحها مثل: الاستدلال، والإدراك، والتآزر الحركي. ويتأسس ذلك على الشراكة القائمة بين علماء عديدين من تخصصات متنوعة بغية البحث في فك مواضعات السيرورات المعقدة للمعرفة والفكر وفهم أسرارها[4]، والبحث في آليات نفاذها النفسية والمعرفية[5].

إن العلوم المعرفية نسق بيني جاء ليهتم بالسيرورات اللغوية بالدرجة الأولى المتعلقة بالاستعمالات اللغوية المتنوعة حسب الحاجة إليها، والقصد منها، ومتجاوزا الاهتمام بالملكة اللغوية La compétence linguistique، وسلامة البنية التركيبية الشكلية الضابطة لاشتغال البنية، لتنفتح على أفق أرحب يمدها بالقوة التفسيرية اللازمة المبنية على العلوم المعرفية[6].

لقد جعلت العلوم المعرفية من الأنشطة الذهنية مجالا لبحثها الأساسي، لتطرح من خلال ذلك عدة قضايا أدت إلى إعادة النظر في مفاهيم عديدة وتصورات كثيرة سائدة من قبل.

فمع منتصف الخمسينات من القرن الماضي لم يعد الباحثون قادرين على إيجاد الأجوبة الشافية الكافية للأسئلة المتعلقة بالعقل. هل تستند إلى حقل معرفي واحد؟ وهو ما تجلى في مشروع علمي جديد، رسم معالم البحث في العلوم المعرفية بالشراكة بين علوم عديدة مثل: علم النفس المعرفي، واللسانيات، والذكاء الاصطناعي، وفلسفة العقل، وعلوم الأعصاب... وغيرها من العلوم الطبيعية والإنسانية التي شكلت مجالات للبحث النظري والتطبيقي، وأعادت النظر في نماذج التفكير كيف تَحْدُثُ. وذلك بدراسة السيرورات المعرفية والعمليات الذهنية التي تنتقل بنا من التمثُّل إلى الفعل[7].

يتعلق كل هذا بالبناء الذهني للعقل الإنساني، وما يؤديه من وظائف ذهنية مختلفة، ولكنها مترابطة منسجمة مثل: الذاكرة والانتباه والذكاء والتخيل والتمثل والإدراك والتصور.

يعني هذا أن العلوم المعرفية تسعى «إلى إعادة تشكيل العقل»[8]. ولعل هذا ينسجم مع التعريفين الآتيين لعلوم المعرفة:

التعريف الأول: قدمه كل من «ج. فراندبارغ Jay Friendenberge» و«جوردون سيلفرمان Gordon Silverman» ونصه:

«العلوم المعرفية هي الدراسة العلمية المتداخلة الاختصاصات للعقل»[9].

وقدم التعريف الثاني: «دانيال أندلار D. Andeler»، ونصه:

العلوم المعرفية «تضم تنويعة من العلوم والمقاربات بهدف تقديم تفسير علمي متكامل للعقل: حالاته، وعملياته، ووظائفه»[10].

وقد رأى محي الدين محسب أن العلوم المعرفية، علم ثري خصب لا يقبل التعريفات البسيطة. ثم يصوغ التعريف الآتي متصورا أنه يفي بالغرض أكثر من غيره في الإحاطة بهذا العلم وتطوراته المتتابعة، ونصه:

«العلم الإدراكي [العلوم المعرفية] هو الدراسة العلمية للعقول والأدمغة سواء أكانت عقولا حقيقية أم اصطناعية، إنسانية أم حيوانية...»[11].

وهكـذا تتبـيّن الغايـة المسـتهدفة في عمـق هـذه الآراء، والمتمثلـة في دراسـة العقـل للوصـول إلى «تطويـر نظريـة عـن الإدراك الذهنـي، تكـون قويـة بالقـدر الـذي يمكنهـا مـن شـمول كل القـدرات الذهنيـة الإنسـانية» [12] الأخـرى.

انصـب اهتـمام علـماء المعرفـة –حسـب حسـان الباهـي- عـلى البنيـات الوظيفيـة للمـخ بوصفـه سـندا أساسـيا للمعـارف والتمثـلات الذهنيـة. ولذلـك تـم البحـث في الكيفيـة التـي يتمثـل بهـا الإنسـان المعرفـة والطرائـق المؤديـة إلى ذلـك. بالنظـر إلى نشـاطه الذهنـي.

وبنـاء عـلى هـذا، فـإن العقـل يتوفـر عـلى تمثـلات ذهنيـة تشـبه بنيـة البرمجـة المعلوماتيـة والإجـراءات الحاسـوبية القائمـة عـلى خوارزميـات[13].

يقول «جاكندوف Jackendoff» [14]:

«... لابـد مـن مسـتويات مـن التمثيـل الذهنـي التـي تؤديهـا اللغـة منسـجمة والمعلومـة الآتيـة مـن الأنظمـة المحيطـة مثـل: الرؤيـة، والسـماع غـير اللغـوي، والشـعور بالحركـة وهكـذا...

وينبغـي أن يوجـد عـلى نحـو مماثـل مسـتوى تكـون فيـه المعلومـات اللسـانية والمعلومـات التـي ينقلهـا النظـام الحـركي منسـجمتين كي نتمكـن مـن تمثيـل قدراتنـا عـلى تنفيـذ الأوامـر والتعليـمات»[15].

وبنـاء عـلى ذلـك، فـإن البنيـة التصوريـة ليسـت لغويـة فحسـب إذا لم تعتـبر اللغـة مجـرد وسـيط بـين المسـتعملين لهـا[16].

ويتجـلى ذلـك في التحـولات الكـبرى التـي تشـهدها علـوم مثل اللسـانيات وعلـم النفس المعـرفي والعصبـي بفروعـه وتخصصاتـه والإناسـة (الأنثروبولوجيـا)، والـذكاء الاصطناعـي. وتعـد النظريـة الأدبيـة معنيـة إلى حـد كبـير بهـذه التحـولات التـي تسـعى في عمومهـا إلى بلـورة مـا أصبـح يسـمى اليـوم، «نظريـة صوريـة للمعرفـة Formal Theory of Co-gnition» وضمنهـا المعرفـة اللغويـة والأدبيـة[17].

وإذا مـا رمنـا البحـث عـن **نشـأة العلـوم المعرفيـة**، فإنـه يمكـن أن نعـود بهـا -حسـب

محـي الديـن محسـب- إلى علـماء النفـس الألمـان الجشـطالت Gestalt في أواخـر القـرن التاسـع عـشر وأوائـل القـرن العشريـن، ويتعلـق هـذا بالربـط بفكـرة أن العقـل ينبثـق مـن الخصائـص الفيزيقيـة للدمـاغ. وبالأفـكار الخاصـة بـالإدراك عمومـا، والبـصري منـه بصفـة خاصـة.

فتوجـد تماثـلات بـين البنـى اللغويـة والإدراك الحـسي البـصري، كـما لاحـظ ذلـك «رولانـد لانكاكـر R. Langaker» واحـد مـن المتخصصـين في النحـو المعـرفي.

وكذلـك العلاقـة بـين الفلسـفة الظاهراتيـة وعلـوم المعرفـة؛ فـكل منهـما يحـاول الإجابة عـن المقصـود مـن معنـى الإنسـان، وكيـف أننـا قـادرون عـلى التفاعـل بيننـا وبـين العالم.

ومـن يذهـب إلى أن جـذور العلـوم المعرفيـة تعـود إلى الـتراث الفلسـفي لـكل مـن ديـكارت (1596-1650م) وكانـط (1724-4081م).

ومـما يزيـد المسـألة تعقيـدا أن العلـوم المعرفيـة تطلـق عـلى: موجـة الخمسـينات التـي اقتلعـت السـلوكية وأسسـت حقلهـا المعـرفي الخـاص، وكانـت كلمتهـا المفتـاح الأساسـية هـي (المعلومـات).

و**الموجـة الثانيـة** في السـبعينات، وكانـت كلمتهـا المفتـاح الأساسـية هـي: «الدمـاغ»، قـد وضعـت المـادة والطاقـة في الصـدارة.

وأمـا الموجـة الثالثـة فتجسـدت في النظريـة وقضايـا النمـو، وكلمتهـا الأساسـية هـي «التغيـير»[18].

ويميـز صـلاح الديـن الشريـف بـين نظريـة المعرفـة المرتبطـة بصناعـة العلـوم وهـي ذات أصـول عقلانيـة وأبعـاد فلسـفية ومنهجيـة بـدأت مـع أفلاطـون وتطـورت مـع كانـط، ونتـج عنهـا النظريـات الإبسـتمولوجية المعـاصرة. وبـين مـشروع علمـي هـو أقـرب أن يكـون إلى مـشروع بحـث في العلـوم الطبيعيـة أكـثر منـه إلى مـشروع نظـر في ماهيـة العلـم. وهـو ناتـج عـن التطـورات التـي عرفتهـا البيولوجيـا وبخاصـة علـم وظائـف الأعصـاب، وتقـدُّم الباحثـين في سـبر أغـوار الدمـاغ وفهـم أسراره المتعلقـة بالوظائـف العليـا مثـل: الإدراك والذاكـرة واللغـة...[19].

والمهم الذي نركز عليه في كل هذا المسار التاريخي هو فترة السبعينات مع تلاميذ تشومسكي منهم: راي جاكندوف، ولايكوف وغيرهما... فقد أرادوا توسيع ما جاء به أستاذهم، وما وعد به الباحثين عن فهم المعنى والإمساك به. فهو - في نظرهم- يحتاج إلى تطوير بالرغم من أهميته. فما وعد به تشومسكي في نظريته التوليدية التحويلية لم يتحقق، وبقيت جهوده مقتصرة على الدلالة التركيبية وسلامتها من حيث الشكل، الأمر الذي دفع تلاميذه إلى أن يتجاوزوا ذلك إلى الدلالة المعرفية، فقد أدمج جاكندوف النظرية التوليدية في النظريات المعرفية محددا هدفه من الدراسة في كتابه:

«اللغة والوعي والثقافة: بحوث في بنية الذهن. بأنه اكتشاف طبيعة الأبنية الذهنية التي تكوّن التجربة البشرية وسلوك الإنسان»[20].

ويعد هذا إنجازا هاما في مسار البحث اللساني من الناحية المعرفية، وبالمختصر المفيد، فإن الموضوع الذي تهدف إليه العلوم المعرفية «**هو دراسة الذهن في جميع مظاهره**»، وتحديدا وبعناية أكبر يحاول هذا العلم دراسة الذكاء والأنظمة الذكية، مع تأكيد خاص على السلوك الذكي بوصفه حاسوبيا. وهكذا تعمل العلوم المعرفية بَعدها ناقلة لنظريات الذهن الحديثة.

إنها تضم علوما متباينة مثل اللسانيات والحاسوب وعلم النفس وعلم الأعصاب والأنثروبولوجيا وعلم الاجتماع[21] كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

وبناء على هذا كله، تكون اللسانيات هي أيضا، علما معرفيا مهما شأنه شأن علوم المعرفة الأخرى، يتضافر معها في موضوع الدراسة، وبخاصة الأنشطة الذهنية المتعلقة باللغة.

2. العلوم المعرفية وتضافر التخصصات والمفاهيم

1.2. مفهوم تضافر التخصصات

يعد تضافر التخصصات مفهوما مفتاحا في العلوم المعرفية، فرضته خصوصيات المجتمع المعاصر الموصوف بمجتمع المعرفة المتخصص تخصصات دقيقة، وفي الوقت

نفسه ينشد الموسوعية. فلا يتضح هذا التخصص إلا بتضافره مع تخصصات أخرى يأخذ منها ويعطيها، ويقاسمها الاهتمامات المعرفية والمنهجية التي يراها مفيدة في ممارسة البحث في حقل علمي مخصوص أو فرع منه.

يرجع استعمال هذا المفهوم إلى السبعينات من القرن الماضي. ويتأسس على مفاهيم مثل: الاندماج والتركيب والتفاعل والتفكير الشمولي مع ما ينتج عن ذلك من عبور للحدود بين التخصصات والحقول المعرفية المختلفة وتعددها وتضافرها وتكاملها.

ويفترض ذلك مجموعة متماثلة من الإشكالات ونسقا خاصا من الافتراضات، وقوانين ضابطة لذلك.

وبهذا المعنى يمكن أن نعدّ الفيزياء والبيولوجيا حقلين معرفيين، وكل منهما يمثل أصلا وله تخصصاته الفرعية، ومداخله المتعددة [22].

ظهر مصطلح Interdisciplinarité في الولايات المتحدة الأمريكية إشارة إلى الأبحاث المتعلقة بالذكاء الاصطناعي لا سيما سنوات الخمسين والستين من القرن العشرين، ثم صار يطلق على العلوم والتطبيقات والمعارف المتجاورة، من أجل دراسة الإشكالات المعقدة والوضعيات والظواهر الصعبة المركبة في مجالات مختلفة.

يقتضي الحديث عن تضافر التخصصات الحديث أيضا عن تعدد المصطلحات المتعلقة بمفهومه، مما يصعّب من مهمة تحديده بكيفية دقيقة جامعة مانعة.

فيوجد أيضا: المنهجية المتداخلة الاختصاصات Interdisciplinarité hétéro-gène والمنهجية الإدماجية المتداخلة التخصصات Interdisciplinarité intégratrice بالإضافة إلى استعمالات أخرى منها: تعدد التخصصات Multidisciplinarité و-Pluri disciplinarité وعبر التخصصات Transdisciplinarité.

إن تضافر التخصصات مقاربة تمثل شراكة بين تخصصات علمية ومعرفية اتساقا وانسجاما لدراسة مجموعة من القضايا الإشكالية التي يطرحها الموضوع الواحد في الدراسة، قصد إيجاد الحلول المناسبة لها [23].

تأسيسا على هذا تكون العلوم المعرفية مثالا حيا معبرا عن تضافر حقول المعرفة المتنوعة؛ بحيث يمثل هذا التضافر، وهذا التكامل والتلاقي «صيغة ونظاما للبحث يدمج معلومات ومعطيات وتقنيات ومقاربات من حقلين أو أكثر لتطوير فهمنا للظواهر التي تتجاوز حقلا معرفيا بعينه» [24].

ولعل هذا ما يميز العلوم المعرفية؛ ففَهْمُهَا - بما أنها العلم الذي يشرح الاتصالات بين العقل/الذهن الحاسوبي، والعقل/ الذهن الظاهراتي برأي جاكندوف والتداخل بين الذهنين- هو الهدف لمعظم فروع العلوم المعرفية بما فيها اللسانيات [25].

وتعد اللغة في كل هذا هي الوسيلة الأساسية لتوضيح العلاقة بين فروع المعرفة على اختلافها وتشابكها.

وفي هذا المقام نقدم هذا المثال لـ «دانيال أندلار» بواسطة هذا الرسم[26]:

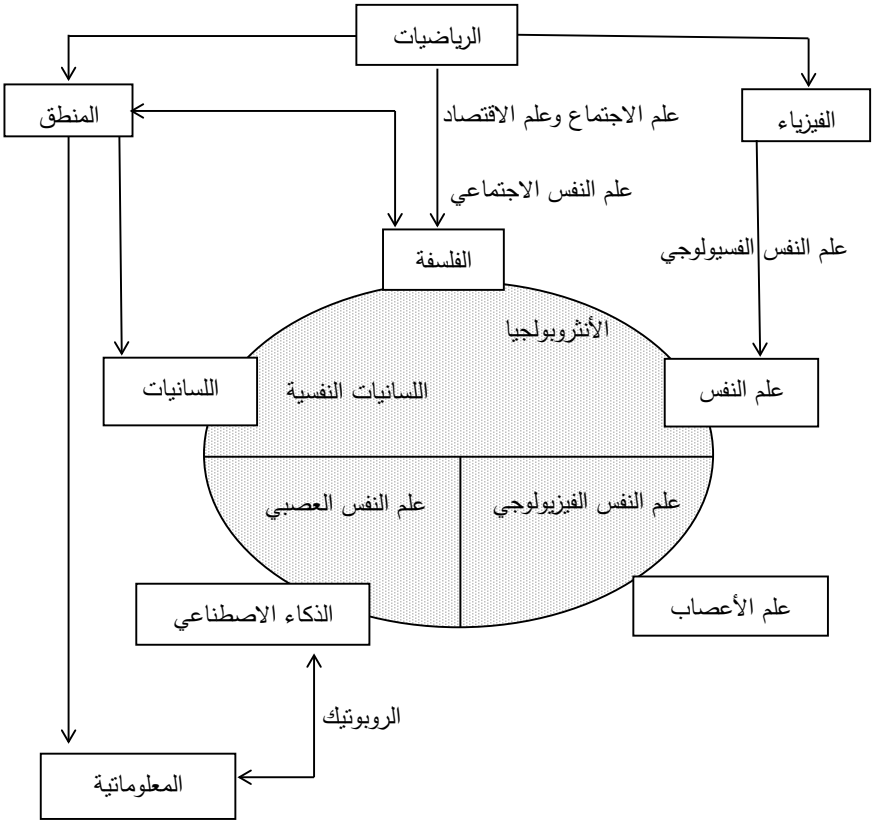

نخلص من كل هذا إلى أن للعلوم المعرفية وجهين:

- **العلـوم المعرفيـة في وجههـا التقنـي العلمـي الصـارم**، وتمثلـه جملـة مـن العلـوم والتخصصـات مثـل: البيولوجيـا، وعلـوم الأعصـاب، والـذكاء الاصطناعـي، وعلـوم الحاسـوب، والرياضيـات، والفيزيـاء، والروبوتيـك...

والعلـوم المعرفيـة في وجههـا الثـاني: وتمثلـه علـوم وتخصصـات مثـل: الفلسـفة، واللغـة، والمنطـق، والأنثروبولوجيـا، وعلم الاجتـماع، واللسـانيات، والأدب.

يشـير حسـان بوكيـلي في هـذا المقـام إلى أن هـذه العلـوم قـد اختصـت في البحـث في مجـال يشـكل مفارقـة أو معادلـة بالغـة التعقيـد، فهـي مـن جهـة تهتـم بالمشـترك بـين أفـراد الجنـس البـشري (اللغـة وحـل المشـاكل والوعـي والإدراك والانتبـاه والتحكـم في الأنشـطة الحركيـة...)، ومـن ناحيـة ثانيـة تهتـم بالأكـثر تعقيـدا وامتناعـا عـن الفهـم.

ولقـد كان وراء هـذا التقـارب بـين هـذه العلـوم كـون بعـض المقـدرات الإنسـانية كاسـتعمال اللغـة لا يمكـن تفسـيرها نظريـا بطريقـة منعزلـة. ولذلـك نحـن في حاجـة إلى بنـاء نمـوذج خـاص بكيفيـة اشـتغال الجهـاز المعـرفي للإنسـان برمتـه[27] بغيـة سـبر أغـواره، ومعرفـة أسراره الخفيـة الموجـودة في سـلوكه. ولمـا كان هـذا مسـتعصيا تضافـرت هـذه العلـوم كلهـا في محاولـة فهمـه وتفسـيره، كل علـم يسـهم في ذلـك بمـا يلائمـه ويطاوعـه. وبخاصـة أن الأمـر يتعلّـق «بمـا سـماه ج. نوويتـس G. Nyts بالعلبـة السـوداء للدمـاغ البـشري»[28].

ومحصـول الحديـث أن تضافـر التخصصـات يمثـل مـؤشرا جديـدا، اقتضتـه تحديـات علميـة جديـدة. ويمثـل اهتمامـا خاصـا لـدى الفلسـفة الغربيـة في أحـدث تحولاتهـا. وتضافـر التخصصـات هـو أحـدث هـذه التحـولات[29].

1.1.2. العلوم المعرفية وتضافر المفاهيم

تـؤدي المفاهيـم دورا أساسـيا في بنـاء المعرفـة وتخصيبهـا وتصنيفهـا ومعالجتهـا وربطها بغيرهـا مـن المعـارف الأخـرى في منظومـة متناغمـة ومتجانسـة ومتضافـرة في البحـث مـن الناحيـة المنهجيـة نظريـا وتطبيقيـا إجرائيـا؛ إذ الوعـي بالمفاهيـم هـو الطريـق الصحيـح

الموصل إلى الفهم والتمثل ومن ثمة التحليل والتأويل بكيفية موضوعية.

يذهب «فرانسوا ريكانتي [30] Recanti François» إلى القول: «إنه إذا كانت اللغة تعتمد على استثمار الكلمات وتوظيفها من أجل بناء الجمل، فإن الفكر أو بالأحرى «لغة الفكر» تعتمد على استثمار المفاهيم وأحيانا إبداعها من أجل بناء الأفكار، وهذا التوليف الذي يحدث في سياقي اللغة والفكر لا يعدّ مجرد رصٍّ وتنضيد للكلمات والمفاهيم بل هو تركيب نسقي في منتهى التعقيد لهذه الكلمات والمفاهيم» [31].

سبق الحديث عن العلوم المعرفية أنها تتأسس على تضافر التخصصات، ونضيف إلى ذلك أنها تتأسس على التضافر الحاصل بين المفاهيم الآتية من المعارف والتخصصات المختلفة. حتى إن تضافر التخصصات مبني على تضافر المفاهيم، التي تذهب وتجيء بين هذه المعرفة وتلك، أو بين هذا الحقل العلمي وذاك.

تمثل العلوم المعرفية نموذجا واضحا، وعينة تمثيلية لهجرة المفاهيم وعبورها أقاليم المعارف والتخصصات وتخومها إلى درجة إزالة الحواجز والحدود بينها بما يخدمها أو يخدم تخصصا منها.

إن المفاهيم عبارة عن قناة أو قنوات للتواصل حسب الحاجة إليها تتغير من حيث بنيتها ووظيفتها في توجيه الإدراك والتحكم في الحياة الذهنية تطويرا للنشاط الإدراكي حيث تشحذ كفاءة الإنسان الإدراكية من أجل سبر ملابسات ما يدركه [32].

وتعظم فائدة المفاهيم والحاجة إليها، واستيعابها وفهمها وتوظيفها في العلوم المعرفية؛ لأنها تمثل زاوية دقيقة للنظر العلمي والمنهجي، والتمكن من استعمالها في بناء المعرفة وفهمها وتمثلها وتحليلها وتأويلها ومن ثمة استثمارها وتحديد نتائجها.

فنحن -برأي بناصر البوعزاتي- ننظر إلى العالم من منظار المفاهيم والقنوات السائدة التي تتحكم فينا من خلال رسم حدود أفق إدراكنا، ونتحكم فيها إذا توفرت لنا درجة أكثر أو أقل حسب تكوين واستعداد كل مستعمل[33].

تشكل العلوم المعرفية ساحة لزحام المفاهيم؛ فلكل علم منها منظومته

المفاهيمية التي تخصه وتميزه عن غيره، وترسم حدوده الفاصلة بينه وبين العلوم الأخرى. ولكن في الوقت نفسه تسمح له بعبور الحدود والحواجز إلى بقية العلوم ليعاضدها في حل بعض المشكلات المتعلقة بطرائق المعرفة باللغة.

ولعل أهمها **مشكلة المعنى** كيف يتم تمثّله وتصوّرُه وإدراكه من الناحية الذهنية. وكيف يتم التعبير عنه بالنشاط اللغوي المناسب، والترابط المفهومي في نسق منسجم دال على نوع المعرفة ونوعيتها وسعتها الدلالية القائمة على ترابط المفاهيم مجتمعة في كيان كلي.

وقد وضح جورج ميلر G. Miller[34] بالقول:

«كانت السبرينيات Cybernetics تستخدم المفاهيم التي طورتها المعلوماتية لنمذجة وظائف الدماغ التي كشفها علم الأعصاب، كذلك كانت اللسانيات والمعلوميات مرتبطتينِ عبر اللسانيات الحاسوبية، وكانت اللسانيات وعلم النفس متصلين عبر السيكولسانيات، وكانت بين علم الإناسة وعلم الأعصاب صلات عبر الدراسات حول تطور الدماغ...»[35].

لا يتضح البحث في مثل هذه القضايا، وفهم العلاقات الموجودة بينها، والصلات التي تجعلها تتبادل المنفعة بينها إلا من خلال «البحث في المحتوى المفهومي وتنظيمه في اللغة»[36] برأي «ليونار تالمي L. Talmy»[37].

3. اللسانيات موضوع معرفي

نعد اللسانيات بناءً على ما سبق، موضوعا بل علما معرفيا شأنه شأن العلوم المعرفية الأخرى. ونعِدُّ القضايا المختلفة التي تطرحها اللسانيات ذات بعد معرفي، تبحث في البعد الإنساني الشامل للغة.

وإن التقدم الواضح الذي حققته اللسانيات في ميادينها النظرية والتطبيقية يعود الفضل فيه إلى كونها تنتمي إلى عائلة العلوم المعرفية. وبناء على ذلك فإن الطابع المعرفي هو ما يمثل العنوان الإبستيمولوجي للسانيات[38].

1.3. إسهامات البحث عن المعنى في تطوير البحث اللساني والأدبي بمدارسهما المختلفة

منذ أن حدد دوسوسير موضوع اللسانيات بأنه يتمثل في اللسان بوصفه المؤسسة الاجتماعية التي اتفقت الجماعة اللغوية على مواضعاتها ومقاييسها ومعاييرها المكوّنة لنظامها، والمميزة له عن غيره، ثم التركيز على وصف الأنظمة اللسانية لمعرفة خصوصياتها اللغوية الشكلية: أصواتا وصرفا وتراكيب.

وتم بمقابل ذلك عدم الاهتمام من لدن دوسوسير بدراسة الكلام؛ لأنه منتوج فردي يستعصي القبض على معناه. وتبعه في ذلك دارسون لسانيون آخرون مثل: بلومفيلد Blommfield الذي رأى النحو تصنيفيا توزيعيا... منذ ذلك الحين بدأ الشعور من لدن الدارسين الذين جاؤوا بعده بمشكلة المعنى في دراسة اللغة.

إن المنظومة الاصطلاحية التي جاء بها دوسوسير، وإن كانت مهمة في زمانها في تغيير مسار البحث اللساني، ونقله نقلة نوعية من التاريخي إلى الوصفي الآني، فإنها بعدم التركيز على دراسة الكلام قد أخرجت المعنى من الدراسة اللسانية على أهميته. وبذلك تظل غير كافية ولابد من تجاوزها إلى غيرها بحثا عن المعنى، الأمر الذي أدى إلى تطوير البحث اللساني بمدارسه المتعددة.

فلا أحد ينكر أن المعنى معطى مباشر وأساسي في تجربة الإنسان اليومية، وفي تعامله مع اللغة، واستعماله لها في أنشطة حياته اليومية.

ولعل ذلك يجعلنا نستغرب تأخر ظهور علم الدلالة من ناحية، وكون هذا العلم منذ ظهوره ظل الباحثون في نزاع بشأنه إلى يوم الناس هذا[39].

لقد كانت اللغة عند دوسوسير عبارة عن نظام من المعلومات، كل علامة مكوّنة من دال ومدلول، تحمل دلالة معنوية محدودة تبعا للمستويات المختلفة التي تحتاجها الدراسة؛ من حيث علم الأصوات وعلم وظائف الأصوات وعلم الصرف والنحو.

«فالعلامات يقع التعريف بها على أساس التقابل بينها، ومجموعة المقابلات

تمثل نظاما في هذا المستوى أو ذاك. وفي النهاية تكون اللغة عبارة عن نظام مكوّن من مجموعة من الأنظمة Un système de systèmes»[40].

2.3. تشومسكي واللسانيات المعرفية

يعد تشومسكي واحدا من الذين غيروا مسارات البحث اللساني في العالم، وإذا كان دوسوسير قد عدّ اللغة نظاما من العلامات، فإن تشومسكي قد عدّها نظاما من القواعد؛ والنحو التوليدي التحويلي عنده، يقوم على ثلاثة أقسام.

-**قسم سياقي:** وهو الذي يمثل المنطلق لكل العمليات في تحليل الجملة إلى مركب فعلي واسمي.

-**قسم تحويلي:** وهو الذي يُخضع الجملة إلى مجموعة من العمليات التوليدية والتحويلات الإجبارية بإنتاج الجملة النواة.

-**قسم تأويلي:** وهو الذي يعطي الجملة مظهرها الصوتي وصيغتها النهائية (مكونها الفونولوجي)، ويمكّن من تحديد دلالتها (مكوّنها الدلالي)[41].

لقد جاء تشومسكي بجهاز اصطلاحي مهم في التحليل اللساني كان له أثره البالغ في البحث اللغوي، تميز به كما تميز دوسوسير قبله.

فمفهوم الملكة والإنجاز، والبنية العميقة/الذهنية، والإبداعية Créativité مفاهيم مهمة جدا في التأسيس للسانيات المعرفية؛ فقد أدت دورا مركزيا في ذلك.

ولقد كانت اللسانيات كما جاء في تقرير سلاون Sloan Report حقلا رئيسيا أسهم في تأسيس ميدان البحث في العلوم المعرفية. كما أظهر أن اللغة تعد نموذجا مثاليا لمفهوم النظام المعرفي Cognitive System[42].

يؤكد جورج لايكوف -في هذا المقام- أن اللسانيات قادرة على الإسهام في فهم كثير من قضايا المعرفة والفلسفة عبر دراسة اللغة. إذ إن دراسة تركيب اللغة الطبيعية ودلالاتها تسمح باستكناه الفكر والتواصل والثقافة والأدب[43].

تأسيسا على ما سبق يمكن القول:

إن اللسانيات تؤدي وظيفة مزدوجة تتبادل بواسطتها النفع مع بقية التخصصات

المكونة للعلوم المعرفية؛ فهي تستفيد من الحقول الأخرى لإدراك بنية اللغة. كما يمكن أن تفيد هي أيضا الحقول الأخرى في فهم بنية الذهن، وكيفية أدائه لنشاطه.

وتكون اللسانيات، بهذا، قد اكتسبت قوة إجرائية كبيرة في الدراسة مكنتها من الإجابة عن كثير من الأسئلة الصعبة. وامتد تأثيرها إلى علوم أخرى، حتى أضحى المنشغلون بالعلوم الإنسانية يشتكون من الإمبريالية اللسانية برأي حسان بوكيلي[44].

ركز تشومسكي كثيرا على **المفهوم القالبي** في علاقة اللغة بالمعرفة. فالمتكلم الذي يفهم لغة أو أكثر، يوظف تمثيلا داخليا (ذهنيا) للمعرفة اللغوية، وبإمكانه اكتساب اللغة بواسطة المقدرات التي يتوفر عليها، ويخزن رصيدها المعجمي، وينقل أفكاره بواسطتها.

وله أيضا تمثيل لمعرفته بالعالم؛ أي له معرفة تصورية خاصة بالمحيط الخارجي، إضافة إلى الجانب النفسي والاجتماعي.

لقد اشتغل تشومسكي على الدماغ وكأنه تمثيل أو صورة مجازية للحاسوب، معدا إياه نظاما من المبادئ الحاسوبية التي تشكل التمثيلات الذهنية وتحولها. وما المعرفة اللغوية إلا جزءا من هذه التمثيلات.

يقتضي تشغيل هذه المعرفة تفاعل تلك المبادئ مع أنظمة أخرى للتمثيل الذهني وللحوسبة. إن المعرفة اللغوية بالنسبة لتشومسكي بنية ذهنية[45].

يمكن الإشارة هنا إلى جهود الفيلسوف الأمريكي «جيري فودور J. Fodor»[46] في بداية الثمانينات؛ فقد افترض أن بنية الذهن قالبية Modular وليس فجوية Ho-listic، وادعى أن أكثر عناصر القدرات المعرفية الإدراكية مثل: الرؤية واللغة تعمل بكيفية مستقلة عن بعضها بشكل كبير، وفي مناطق أكثر أو أقل تباينا في قشرة الدماغ، تسمى قوالب[47]، ومنه النظرية أو المقاربة القالبية.

وأما تشومسكي فيرى الذهن البشري مكوّنا من مجموعة قوالب؛ قالب خاص بالحساب، وآخر خاص بحل المشاكل، وآخر بالاستنباط، ورابع خاص ببناء النظريات العلمية، وخامس خاص باللغة وهكذا[48].

وقد أعطى فودور الأهمية للنسق اللغوي، وعدّه موجها لإدراك المواضيع اللسانية، ولا تهتم النظرية اللسانية – في رأيه - إلا بما يحوسبه النسق اللغوي.

ولكنّ النسق اللغوي ليس مغلقا؛ إنه نسق مفتوح[49]. وليس محصورا في قالب، وبالتالي الفصل بينه وبين ما يملكه المتكلم من معارف لها علاقة بمعتقداته وثقافته وبمعرفته عن العالم الخارجي.

فلا يمكن الفصل بين «المعنى اللغوي Le sens linguistique والمعنى غير اللغوي Le sens extralinguistique، ونحن نجد مثل هذ التصور شائعا في النحو التوليدي التحويلي مثلا...»[50].

لقد صارت اللسانيات المدافع الأقوى عن فرضية القالبية، ومنهم تشومسكي. ولكن بالرغم من ذلك يعتقد اليوم العديد من الباحثين أن القالبية مجردة جدا، وليست محدودة في قدرة معرفية واحدة مثل اللغة، وإنما تضم مجموعة أكبر من القدرات المتخصصة. فإلى جانب اللغة تضم مجالات للإبصار، والإحساس بالموسيقى مثلا، وبعض مظاهر العلاقات الاجتماعية، والتعرف على الوجوه، ومن المحتمل أن يكون أكثر من ذلك. فلا تنبع العمليات المعرفية المعقدة من عدد محدود من القوالب عالية التخصص؛ وإنما من بلايين التراكيب المؤداة بواسطة معالجات ذهنية محددة[51].

وبالرغم من كون تشومسكي لم يعط الأهمية للاعتبارات الدلالية في النحو التوليدي، وأعطى الأهمية في ذلك للتركيب والدلالة الكامنة فيه، وذلك قاصر في تحصيل المعنى، الأمر الذي جعل العلوم المعرفية تعيد الاعتبار للدلالة المعرفية في تحصيل المعنى، بالرغم من كل هذا فإن تشومسكي يعد واحدا من المؤسسين للعلوم المعرفية والممثلين لخطابها التمهيدي.

3.3. من الدلالة التركيبية إلى الدلالة المعرفية:

تعد اللسانيات علما معرفيا مهما من علوم المعرفة، يتضافر معها ويبادلها الأخذ والعطاء في معالجة الإشكالات المعرفية المختلفة التي تظهرها اللغة، بوصفها نشاطا

خلاقا معبرا عن التصورات الذهنية المتنوعة، وسيروراتها في بناء المعرفة، وفهمها وتفسيرها وتمثيلها.

لقد كانت اللغة مع دوسوسير نظاما من العلامات، ثم صارت مع تشومسكي نظاما من القواعد، ولكنها في اللسانيات المعرفية أصبحت نظاما من الرموز.

فلم يعد الاهتمام كائنا في تصورنا للنحو؛ وإنما أصبحت الصدارة ومدار الاهتمام من لدن اللسانيين للعمليات الذهنية البانية للتراكيب النحوية المختلفة.

فما دامت هذه العمليات لا تخص اللغة وحدها، فإن صيغ القواعد النحوية فقدت أهميتها، وحل محلها التمييز بين العناصر والتمثلات من جانب، وبين الآليات الذهنية المعرفية المستعملة بين المتخاطبين في معالجة تلك التمثلات من جانب ثان[52].

وبذلك أعيد الاعتبار للمعنى، وتبوأ المنزلة المستحقة، مما أدى إلى جعل اللسانيات تسهم هي أيضا في معالجة كثير من المسائل والإشكالات التي تطرحها بنية الذهن البشري وطبيعة المعرفة.

ولقد جاءت اللسانيات المعرفية لتسهم بفاعلية في دراسة المعنى وإظهاره عنصرا مهما أساسيا في اللغة؛ فكل ما في اللغة؛ إنما هو لخدمة المعنى. «وأن معنى عبارة لغوية... رهينُ مضمون العبارة الدلالي التصوري، والطريقة التي اعتمدت في بناء ذلك المضمون وصياغته»[53].

وليس النظام اللغوي Le système linguistique بأنظمته الجزئية: الصوت والصرف والنحو والمعجم والدلالة الحاصلة منها إلا مستويات متصل بعضها ببعض، لها دور أساسي في تشكيل المعنى وصياغته الصياغة الملائمة.

ولا يمكن عزل تلك المستويات أو الأنظمة الجزئية عن بعضها في بناء المعنى.

ولعل ذلك قد أدى إلى تشكيل نظرية دلالية ثرية خصبة هي: **الدلالة المعرفية.**

سبقت الإشارة إلى أن العلوم المعرفية ومنها اللسانيات المعرفية، تعد ساحة لزحام المفاهيم المتعلقة بالنظر المعرفي العميق الذي تميز به علماء اللسانيات المعرفية،

ولما كان يستحيل الحديث عنها كلها، أكتفي بالتطرق إلى بعضها بقليل من التوضيح، ومنها:

1.3.3. مفهوم البنية التصورية المجسدة

يطلق عليها أيضا: نظرية المعرفة المجسدة، وأحيانا الإدراك المجسد. يعد هذا المفهوم من المفاهيم المركزية في العلوم المعرفية، ويمثل عنصرا مهما في ما بحثه جورج لايكوف (1990) عن مشروع اللسانيات المعرفية؛ ففي رأيه أن ذلك يتأسس على التزامين رئيسيين هما:

الالتزام بالتعميم Generalisation Commitment: ويتعلق بتوصيف المبادئ المسؤولة عن جميع جوانب اللغة البشرية.

الالتزام المعرفي (الإدراكي) Cognitive Commitment: ويتعلق بتوفير توصيف للمبادئ العامة التي تتفق مع ما هو معروف عن العقل والدماغ من التخصصات الأخرى[54].

يعني مفهوم التجسد Embodiment بصفة عامة أهمية التجربة الإنسانية ومركزية جسد الإنسان فيها، وبنيته المعرفية النوعية في دراسة اللغة بالنظر إلى علاقتها بالذهن البشري، فلا يمكن أن يكون ذلك بمعزل عن تجسد الإنسان[55]. وإنما يشكل اهتماما أساسيا للباحثين في علوم المعرفة بصفة عامة، واللسانيات بصفة خاصة وعلم الدلالة المعرفي بصفة أخص. وذلك قصد معرفة طبيعة التفاعل الإنساني في علاقته بالمحيط الخارجي، وببناء نظرية خاصة بالبنية التصورية تنسجم مع خبرتنا في التواصل مع العالم المحيط بنا.

تعد المعرفة المجسدة فكرة أساسية تضع تفسير طبيعة التنظيم التصوري هدفا لها، فذلك ينشأ بواسطة الخبرة الجسدية التي هي جزء هام من البنية التصورية مما يجعلها ذات معنى[56]. ويستلزم ذلك امتلاك الإنسان تصورا نوعيا عن العالم بسبب الطبيعة الخاصة بجسده.

وتأويل الواقع يتم بالانطلاق من طبيعة جسده. فطبيعة الواقع -كما أورد

غاليـم- الـذي نفكـره فيـه، ونتحـدث عنـه والتصـورات التـي نكونهـا بشـأنه أمـران تابعـان لبنيتنـا الجسـدية، فـلا يمكننـا أن نتحـدث إلا عـما يمكننـا أن نتصـوره وندركـه، وذلـك مشـتق مـن التجربـة المتجسـدة، ويجـب أن يحمـل الذهـن آثـار هـذه التجربـة المتجسـدة مـن هـذه الناحيـة[57].

إن للعقـل -كـما يقـول الأزهـر الزنـاد- أسسـا جسـدية؛ فهـو يمثـل كل مـا لـه صلـة بالنـزوات المفكـرة، بـل هـو وظيفتهـا، فيصبـح عـلى هـذا الجسـد المفكـر بمـا لـه مـن طـرق وأدوات في العيـش في المحيـط مركـزا للمباحـث المهتمـة بالعقـل[58].

وهكـذا فإننـا عندمـا نتواصـل لغويـا، فـإن ذلـك يكـون مبنيـا عـلى الخـبرة التـي اكتسـبناها مـن تجربـة أجسـادنا أو مـا يعـرف بــ «جسـدنة اللغـة» Linguistic Soma-tization وهـو أحـد أهـم نتائـج البحـث في العلـوم المعرفيـة.. ويتـم التواصـل اللغـوي في هـذه الجسـدنة مـن حيـث الإنتـاج والتلقـي عـلى مقولتـين أساسـيتين هـما:

مقولة المفهومية Conceptual Categorization.

مقولة الخطاطات الذهنية conceptual map categorization

وكلاهـما نتـاج التجربـة الجسـدية. ومـا قدمتـه مدرسـة الجشـطالت Gestals الألمانيـة في علـم النفـس المعـرفي، يكشـف بوضـوح مـدى تأثـر الذهـن بالجسـد في إنتـاج اللغـة[59].

يمكن أن نقدم هذا المثال من رواية الطاهر وطار «قصيد في التذلل»[60]:

«هنـاك شـخص آخـر يتشـكّل فيّ. شـخص يحـل محـلي. يسـتولي عـلى كل طباعـي. وأخلاقـي وعـاداتي وتقاليـدي. وثقافتـي. يمتصهـا، يضعهـا جانبـا. يلغيهـا تمامـا. يقـذف بهـا في القمامـة (أو يحرقهـا). بعـد ذلـك يعوضهـا بأخـرى لا صلـة لي بهـا. قابلـة للتغـير كل لحظـة. بمـا يلائـم متطلبـات اللحظـة»[61].

فالمتأمـل لهـذه الأفعـال وبخاصـة في علاقتهـا بالروايـة كاملـة يجدهـا تتحـرك وفـق مسـار زمنـي محـدد؛ بحيـث كل فعـل يـؤدي إلى الفعـل الآخـر بشـكل تَدَرُّجـي، وسـيرورة زمنيـة محـددة، هكـذا:

- هناك شخص آخر **يتشكل** فيّ.

- شخص **يحلّ** محلي.
- **يستولي** على كل طباعي.
- **يمتصها.**
- **يضعها جانبا.**
- **يلغيها** تماما.
- **يقذف** بها في القمامة.
- **أو يحرقها** بعد ذلك.
- **يعوضها** بأخرى.
- **بما يلائم** متطلبات تلك اللحظة.

تبرز هذه المتتالية الفعلية، بهذا الترتيب، وهذا التدرج الزمني مظاهر تجربة السارد. وتحدد طبيعة المحيط الذي يتواجد فيه من الناحية الفيزيائية والنفسية والاجتماعية.

وكيفية تصوره لمحتويات الواقع وخصوصياته، وتمثلها على مستوى البنية الذهنية. فيوجد ربط للنسق التصوري بالنسق اللغوي والتداولي كما أقر بذلك علماء المعرفة.

تمثل هذه المتتالية الفعلية مصفوفة من الأحداث، تدل عليها مصفوفة زمنية تجسد معاناة الذات الساردة وتجربتها في الواقع. يمثل فيها الزمن إشارات دالة تحيل إلى معانٍ، تصوِّرُ ما يعانيه صاحبها من صراع داخلي وضغط ومعاناة ذاتية، تترجمها هذه المتوالية الفعلية وهي منظومة في نسقها اللغوي الذي هو بالأساس نسقها التصوري المعرفي.

إن هنالك توافقا في السلوك بين الأفعال من حيث تركيبها اللغوي وبين دلالاتها الكامنة في التركيب؛ وذلك لأن الأفعال تملك سماتٍ داخلية تقوم بدور حاسم في تصميم بنية الفعل والموضوعات التي سترافقه تركيبًا ودلالة كما جاء عند محمد غاليم[62].

تشـير اللغـة – في هـذا المقـام - مـن خـلال نسـق المصفوفـة الفعليـة إلى جملـة التصـورات الكامنـة في ذهـن الـروائي وفي ذهـن الشـخصية الرئيسـية في الروايـة. وقد عبرت عنهـا الأفعـال لتخرجهـا مـن مسـتوى الموجـود بالقـوة إلى الموجـود بالفعـل. وتجسـدها في الواقـع. وبالتـالي فـإن ذلـك البنـاء اللغـوي ومـا يحملـه مـن دلالات زمنيـة كامنـة في الأفعـال التـي تقـوم بعمليـة تحريكهـا، مرتبـط بالكلـمات (الأفعـال هنـا) لهـا علاقـة بمـا تصـوره الـروائي ذهنيـا وعـبّر عنـه لغويـا. فثمـة اسـتعارة تصوريـة في المثـال ككل.

ولكـنّ عبـارة: «هنـاك شـخص يتشـكّل فيّ...» نراهـا عبـارة مفتاحـا. فقـد اسـتعارها الـروائي مـن خبرتـه للواقـع، ومـن تصـوّره لنمـوذج خـاص بشـخصية جماعهـا ممارسـات الواقـع تشـكلت داخلـه رغـما عنـه. كأن العبـارة «هنـاك شـخص آخـر يتشـكّل فيّ» تعـادل العبـارة: «هنـاك جسـد آخـر يتشـكّل فيّ».

يمكن أن نتحدث هنا عن:

2.3.3. الاستعارة التصورية:

تمثـل الاسـتعارة التصوريـة هـي أيضـا، مفهومـا مركزيـا في اللسـانيات المعرفيـة، ومبحثـا مفتاحـا فيهـا «لانبثـاق الأفـكار الجديـدة حـول التواصـل البـشري، وبخاصـة الأفـكار القائلـة بتصوريتهـا، وبـدور الجسـد في المعرفـة، وفي تأسـيس النسـق التصـوري للكائـن البـشري... الـذي يعـدّ ذا طبيعـة اسـتعارية في جـزء كبـير منـه»[63].

كان للمقاربـة التجريبيـة المعرفيـة التفاعليـة التـي جـاء بهـا كل مـن جـورج لايكـوف ومـارك جونسـون[64] G. Lakoff – M. Jhonson أثـر بالـغ في موضـوع الاسـتعارة؛ فلـم تعـد تزيينـا وزخرفـا للخطـاب، وإنمـا صـارت تصـورا جديـدا معرفيـا، ينهـض عـلى بُعْـدٍ تجريبـي جشـطالتي، يؤمـن بقـدرة الإنسـان عـلى التفاعـل جسـديا وبيئيـا وثقافيـا مـع محيطـه، في تصـور المعرفـة وبنـاء اللغـة، الأمـر الـذي أدى إلى عـدّ الاسـتعارة جـزءا لا يتجـزأ مـن البنيـة التصوريـة للإنسـان، ووسـيلة أساسـية في فهـم الواقـع وتمثلـه وفـق نمـاذج وأطـر وإسـقاطات، تتخـذ مـن العلـوم المعرفيـة جـسرا للوعـي بمظاهـر التجربـة وآليـات انسـجامها، إضافـة إلى اسـتبصار آفاقهـا[65].

تأسيسا على هذا تكون الاستعارة عند كل من «لايكوف وجونسون» بنية مجازية ذهنية تختلف عن التعبير الاستعاري في تجليه اللفظي. وبذلك فإن أساس الاستعارة ليس اللغة؛ وإنما الكيفية التي نتصور بها مجالا ذهنيا محددا بواسطة مجال ذهني آخر، قصد فهم الأشياء المجردة، أو الأقل انبناء من خلال أشياء أخرى ملموسة أو أكثر انبناء[66].

3.3.3. تمثيل المعنى الموسوعي:

وصف المعنى هنا بالموسوعي دلالة على تجاوزه للمعنى المعجمي الذي يقتضيه الوضع اللغوي، والذي -عادة- ما يرتبط بدلالات المفردات من الناحية اللغوية، وهي دلالة محدودة.

أما الموسوعية هنا، فتعني المجاز بما يوفره من طاقة هائلة على التعبير، وإمكانات اللغة في العبور والارتحال بين الدوال والمدلولات لكشف الستر عن المعنى المخبوء في الأذهان، والتعبير عنه باللسان، وإخراجه إلى الأعيان.

قال في هذا الشأن أبو حامد الغزالي (ت 505هـ):

«أما الموجود في الأعيان فهو الوجود الأصلي الحقيقي، والموجود في الأذهان هو الوجود العلمي الصوري، والموجود في اللسان هو الوجود اللفظي الدليلي»[67].

يعد المعنى الموسوعي من العناصر الأساسية في الدلالة المعرفية. ويتمثل بناؤه في استعمالات المفردات بوصفها «نقاط دخول» أو «منافذ» إلى مستودعات شاسعة من المعرفة المتعلقة بتصور معين أو مجال مفهومي محدد.

يرى علماء الدلالة المعرفية أن المعنى المعرفي المرتبط بكلمة معينة ما هو إلا دافع أو حافز لعملية تركيب المعنى أو اختيار تأويل مناسب للسياق اللغوي[68].

نورد في هذا المقام المثال الآتي:

يستعمل الخطاب السياسي الجزائري كثيرا عبارة:

«**خط أحمر**» في سياقات متعددة. ليعبر بها عن أغراض متعددة، ويقصد بها مقاصد بعينها حسب المقتضيات التداولية التي يحتاجها مقام الاستعمال.

فمثلا: الحديث عن اللغة العربية خط أحمر، الحديث عن الانتخابات خط أحمر.

فكلمة «**خط أحمر**» تحتمل تأويلات كثيرة حسب من يستعملها وحسب من يتلقاها، وحسب الخلفيات السياسية والإيديولوجية لكل منهما.

فمثلا: الحديث عن اللغة العربية في الجزائر خط أحمر. فما هو المقصود من هذا الاستعمال اللغوي. هل يعني التوقف عن الحديث عن اللغة العربية بأنها لغة غير ملتفتٍ إليها من لدن المسؤولين الجزائريين؟ أم تعني إجابة المسؤولين الجزائريين على أن اللغة العربية في الجزائر هي اللغة الرسمية، وهي محفوظة مصونة، ولا أحد يستطيع الحط من قيمتها. وكل من يريد أو يفكر فيه عليه أن يلزم حده، وهنالك خط أحمر لا يجب أن يتعداه؟

وكذا للجملة الثانية: فهل يعني «خط أحمر» الانتهاء عن الحديث عن الانتخابات ووصف المعارضة لها بالتزوير مثلا؟ إن المعنى مرتبط بالمقام الذي تستعمل فيه العبارة، وبمن يستعملها، وبمن يتلقاها. وبالمحيط الاجتماعي ومحتويات الواقع الجزائري في جانبه السياسي. وبالتصور الذي يحمله المجتمع للون الأحمر، فالخط الأزرق والأبيض أو الأخضر.... لا يحمل القيمة المعنوية مثلا التي يحملها اللون الأحمر، فهو يحمل دلالات: المنع والتوقف والانتهاء عن ممارسة الفعل. وله قيمة أخرى في مخيال الجزائري في أعماق ثقافته الشعبية من عهد الاستعمار.

إن اللون يؤثر في طبيعة التجربة، بوصفه نسقا ذهنيا تصوريا محفزا لبناء المعنى؛ فالمعنى هنا، يساوي التصور، ويستدعي المعرفة الموسوعية في ذلك.

وقد قام «جيل فوكونييه Gilles Fauconnier»[69] بوضع نموذج للصفة الدينامية لعملية بناء المعنى (في عامي 1994-1997) مؤكدا على دور الاقتران Mapping ؛ أي الروابط المحيلة بين فضاءات ذهنية متفرقة «حُزم» من التصورات لمعلومات على عملية جارية On-line لبناء المعنى وتشييده[70]

فيوجد مزج تصوري حسب فوكونييه لفهم المعاني الكامنة في الجملتين السابقتين،

وبخاصة في استعمال عبارة «خط أحمر» التي تحتاج في فهمها إلى المزج بين التصورات الذهنية واللغة والثقافة، واستعارت من ذلك ما يجعلنا نذهب إلى أنها **استعارة مفهومية أو تصورية** Métaphore conceptuelle تتجاوز مستوى الألفاظ إلى مستوى الفكر السياسي السائد في الخطاب الجزائري.

كأن المطلوب منا بواسطة هذه العبارة، التوجه نحو شكل مخصوص من الخطاب، نراقب فيه عقولنا، وتراقبنا في الوقت نفسه حتى لا نتجاوز الحدود المرسومة لنا.

إنها عبارة آمرة، عبارة سلطوية، مستعارة من قانون الحياة المرورية التي عادة ما تستعمل عبارة: الضوء الأحمر إشارة لا تسمح بالمرور. وكذلك الحياة السياسية لها حدودها وقوانينها الرادعة. وبخاصة في المجتمعات التي تضيق فيها هوامش الحرية في الخطاب السياسي على وجه التحديد[71].

4.3.3. الفضاءات الذهنية:

تمثل الفضاءات الذهنية عنصرا مهما في تشكيل نظرية المزج المفهومي التي تنسب إلى «جيل فوكونييه». وترى أن عملية بناء المعنى تتأسس على ملكة المزج المفهومي، بصنع شبكات مفاهيمية، من التمازج فينتج عن ذلك مفاهيم جديدة ومعانٍ جديدة، تتجذر في الملكة اللغوية لدى المتكلمين، وتُكوِّن البنية المفهومية التي تخصهم.

تتكون هذه النظرية إلى جانب الفضاءات الذهنية من الإسقاط ما بين الفضاءات والفضاء الجامع Generic Space والمزج والإسقاط الانتقائي Selective Projection والتركيب Composition، والبلورة Elaboration، ثم أخيرا البنية الجديدة الناشئة.

وتشكل الفضاءات الذهنية من حيث هندستها في الدماغ من فضاءين دخلين يمثلان حدثين أو واقعتين أو مفهومين. ويوافقان الفضاء المصدر والفضاء الهدف في الاستعارة التصورية (المفهومية) للايكوف. وفضاء جامع يتكون من الفضاءين الدخلين وبنيتهما المفهومية المشتركة، بالإضافة إلى فضاء مزيج أو دمج تتناسق فيه مكونات مختلفة ناتجة عن الفضاءين الدخلين[72].

تمكن الإشارة إلى أن هذه الفضاءات الأربعة ينتج عنها بنية جديدة نتيجة المزج بين الفضاءات جميعها.

بناء على هذا فإن **نظرية الاستعارة المفهومية عند «لايكوف»** ينصب اهتمامها على الاستعارات الثابتة المتجذرة في اللغة، بينما **نظرية «المزج»** عند فوكونييه وتورنر M. Turner[73] تهتم بالاستعارات الحادثة الجديدة[74].

كما يمكن الإشارة إلى أن نظرية الفضاءات الذهنية تعمل على استيعاب القصص والأوصاف سواء أكانت تاريخية أم واقعية أم متخيلة أم مفترضة أم بعيدة... الأمر الذي يمكن بناء عليه تقسيم الفضاء الذهني إلى الأنواع الآتية:

- **فضاءات زمنية:** تختص بالزمن الماضي أو الحاضر أو المستقبل، وتشير إليه ظروف الزمان وأزمنة الفعل والكلمات الدالة على الزمن.
- **فضاءات مكانية:** فضاءات جغرافية تشير إليها ظروف المكان وأفعال الحركة والاتجاه.
- **فضاءات ميدانية:** وتخص مجال النشاط مثل أمكنة العمل أو التجارب العلمية وما إليها.
- **فضاءات افتراضية:** وتتجلى بواسطة مواقف افتراضية، واحتمالات قد لا تتحقق، واقتراح خطط، وتأملات في الممكن، أو ما ينبغي أن يكون ممكنا.

وتبدو **«استعارة الفضاء»** هنا التي تخص نظرية الفضاءات الذهنية ملائمة؛ فهي تختلف وتتكون بناء على حروف «جر» استعارية هي الأخرى. فمثلا:

- «في سنة 1959» تمثل فضاء زمنيا.
- «على السطوح» تمثل فضاء مكانيا.
- «في النحو أو الهندسة» تمثل فضاء خاصا بالنشاط.
- «في حالة الوقوع في تسلل» تمثل فضاء افتراضيا[75].

إن حرف الجر «في» في الأمثلة السابقة، يستعير في كل مرة الفضاء الذي يخصه.

فهو -بهذا- رابط استعاري دال على الأزمنة والأمكنة، والمواقف، والافتراضات،

وفضاءاتها الذهنية المشكلة لها. وكيف تتجلى في السياق اللغوي الذي يخصها لتعبر عن التجارب التي يتم تقمصها؛ فهي لصيقة بها وبجملة الكفايات والاستعدادات التي يكتسبها الفرد. مما يجعل الاستعارة ليست مفهومية فحسب؛ وإنما هي مرتبطة ببنية العلاقات داخل التجربة اليومية؛ فهي بذلك -ليست اعتباطية- كما أنها لا تتعلق باللغة وحدها، وإنما بالتفكر والتدبر أيضا.

ونضيف إلى ذلك أن بعض مناطق الدماغ البشري قريبة من تجاربنا الحساسة وتستخدمها، بوصفها مدخلات Input[76].

4. الأدب موضوع معرفي:

الأدب تشكيل لغوي يهتم بالاستعمال في المقامات التي تقتضيها أغراض المتكلمين ومقاصدهم بوصفهم مستعملين للغة.

يتجاوزون في استعمالهم مستوى اللسان بمفهوم دوسوسير، وما يترتب عن ذلك من دلالة محدودة بالعلاقة الاعتباطية بين الدال والمدلول، ليهاجر ويعبر ويرتحل بين الدلالات وظلال المعاني.

نسجل أن العلماء العرب القدامى عندما درسوا اللغة، قد انطلقوا من كونها وضعا واستعمالا، بنية وخطابا، حقيقة ومجازا. ولم يُخرجوا المعنى من الدراسة. وإنما فرّقوا بين أنواع الدلالة مثل: الدلالة الوضعية أو دلالة المطابقة وقوامها الحقيقة La dénotation والدلالة المجازية أو العقلية La connotation، وتجاوزوا الدلالة المعجمية اللغوية La signification إلى المعنى Le sens بل تحدثوا عن معنى المعنى أيضا Le sens de sens كما عند عبد القاهر الجرجاني (ت 471هـ) في كتابيْه: الدلائل والأسرار.

وشيدوا تحليلا بلاغيا له أصالة وتميّز معتمدين في ذلك على أن اللغة شبكة من العلاقات تجمع بين ما هو شكل وما هو معنى. بين ما هو بنيوي وما هو إفادي تداولي. وذلك بدءا من سيبويه (ت 180هـ) في حديثه عن الكلام المستغني الذي يحسن السكوت عليه[77].

وهـذا الـذي كان غـير ملتفـتٍ إليـه منـذ دوسوسـير وأتباعـه مـرورا بتشومسـكي إلى أن جـاء علـماء المعرفـة بأرضيـة جديـدة تقـوم عـلى أجهـزة اصطلاحيـة ومنظومـات مفاهيميـة مسـتقاة مـن علـوم عديـدة تضافـرت بينهـا وتكاملـت في دراسـة اللغـة، فـأدى ذلـك إلى تطويـر الدراسـة اللغويـة والأدبيـة وبخاصـة مـن الناحيـة المعرفيـة.

نعـد الأدب موضوعـا معرفيـا مهـما في شـقه الإبداعـي وشـقه النقـدي عـلى السـواء. ويتأسـس ذلـك عـلى ترسـانة مـن المفاهيـم والتصـورات؛ لأن مـا ينجـزه المبـدع أو الناقـد يعـود إلى خلفيـات فكريـة وتجـارب وخـبرات فرديـة وجماعيـة، ومؤثـراتٍ نفسـية، وثقافة متنوعـة موسـوعية تكـوّن جسـوراً للتلاقـي بـين المفاهيـم وبـين التخصصـات المختلفـة. وكل ذلـك منبعـه الذهـن البـشري عندمـا يحـكي ويـسرد أو يصـف أو يبرهـن ويحاجـج أو يتذكـر أو يخفـي ويسـتبطن، وهنـا «تكمـن أهميـة العلـوم المعرفيـة في دراسـة طرائـق الاشـتغال المعـرفي للذهـن»[78].

إن العمليـات التـي يقـوم بهـا كل مـن المبـدع والناقـد؛ إنمـا هـي عمليـات ذهنيـة فاعلـة؛ **ذلـك أن الأدب معرفـة بينيـة.** فليـس الأدب حقـلا مسـتقلا بنفسـه يشـتغل عـلى اللغـة مكتفيـة بذاتهـا. وبمـا أن الادب تشـكيل لغـوي -كـما سـبقت الإشـارة إليـه- فإنـه ذو طابـع فـرض إعـادة النظـر في الاشـتغال عليـه بنظـرة تجزيئيـة. ويتـم ذلـك مـن خـلال منظـور بينـي، تتجـلى فيـه خصوصيـات المعرفـة البينيـة. وربمـا قـد بلـغ حـماس شـيلينغ حـدا بعيـدا، حتـى ذهـب إلى القـول: «إن الأدب هـو الفـن الشـامل لجميـع الفنـون بـل العلـوم أيضـا»[79].

لقـد أصبـح للنـص الأدبي علـم يخصـه يتهضافـر مـع علـوم أخـرى لا يسـتغنى عنهـا مثـل مـا يوضحـه الرسـم الآتي:[80]

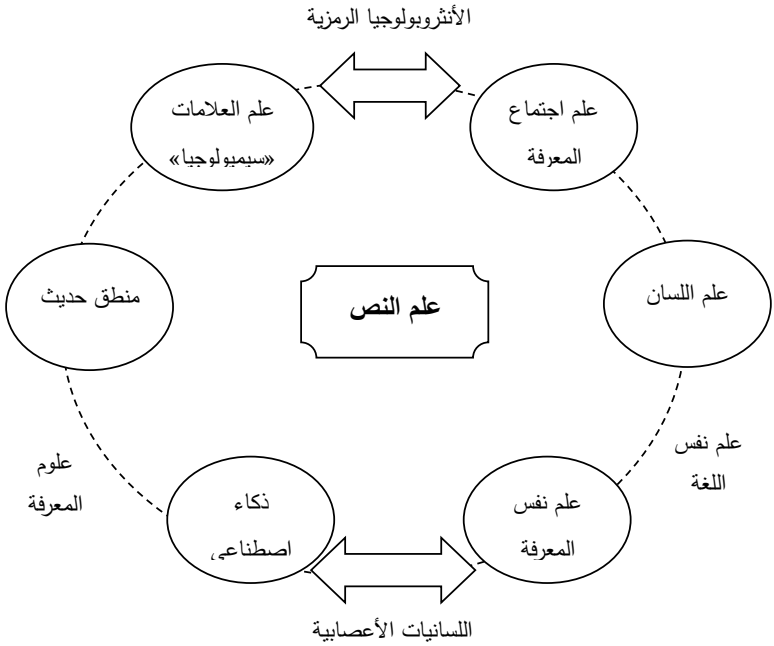

الفروع المعرفية لعلم النص الحديث

فكما نلاحظ في الرسم يوجد للأدب وشائج قربى وعلاقات نسب مع فروع علمية عديدة فرضها المجتمع المعاصر، وما يشهده من تطور تكنولوجي غيّر النظرة إلى اللغة والفنون والآداب لتساير عصورها إنتاجا وقراءة وتأويلا.

توجد تطورات مذهلة شهدتها وتشهدها فروع معرفية مثل: اللسانيات وعلم النفس بفروعه وفلسفة العقل، وبصفة خاصة علوم الأعصاب التي تشكل أساسا مركزيا في الحياة الثقافية الأنجلوأمريكية من الخمسينات وحتى اللحظة الراهنة.

وقد نشأ علم الأعصاب المعرفي باعتباره أكثر المشروعات العابرة للحقول المعرفية إثارة وتطورا، بشكل سريع في عصرنا هذا. ولكنّ الأمر على أهميته فإنه مجرد خبر للكثير من المشتغلين في أقسام الأدب، ولهو أمر يستدعي الشعور بالحرج. وسيبقى هذا الشكل لكي يثبت ما هو أكثر من الحرج برأي مارك تورنر[81].

يعني هذا أن الأدب يمثل نموذجا للتضافر والامتزاج التخصصي والمفهومي، فقد وفرت تكنولوجيا المعلومات وسائل عديدة لاستظهار شبكة العلاقات التي يموج بها النص بين فروع اللغة، وفروع أخرى علمية تكشف عن مخبوءات النص. مثل: الذكاء الاصطناعي الذي يوفر آلية لاستنتاج المعاني، وفض اللبس والتعويض عن المحذوف والمضمر.

يفسر ذلك إقامة نظرية الأدب جسرا للحوار مع الذكاء الاصطناعي لتبادل المعرفة المتعلقة بإشكالية المعنى[82].

لقد صار من غير الممكن أن يكتفي الأدب بذاته. ويقتصر على فضاء معرفي واحد. ولو أراد صاحب النص أن يفعل ذلك ما استطاع؛ لأن ذلك يؤدي به إلى ما يقطع تتابع السرد، وكل تحولات الزمان والمكان. ولا ابتعد عن كل ما يخالف رغبات قارئه وخططه وذكرياته، وعن الاختلاف بين شخصيات النص ووجهات نظرهم من وجهة نظر القارئ[83].

عندما نأخذ المثال الآتي: «مررت في حياتي بمحطات صعبة ومؤلمة». فإننا نجده يحيل إلى عوالم متعددة منها:

- الحركة (مررت).
- والمكان (محطات).
- ومنها السرد والوصف والتاريخ. بالإضافة إلى الجانب النفسي والاجتماعي. وكل ما يجعل تجربة الحياة المؤلمة متجذرة في الذاكرة...

ومن كل هذه العوالم والفضاءات وما تحمله من مفاهيم ورؤى يتخلّق النص، ثم يستوي على سوقه بما يثمر عند القارئ. ولعل ثمة تكمن جاذبية القراءة للنصوص الأدبية، وللتواصل مع الفنون جميعها.

هكذا إذن «يحدث الإبداع بتركيب أفكار مختلفة تماما، وبأسلوب غير متوقع، فإذا أتينا بهذه الأفكار المختلفة التي لا يوجد بينها في الأحوال العادية أي رابط، وجمعناها معاً فإن تفكيرنا فيها عندئذ يتم على عدة مستويات ولا يبقى محصوراً

بناحيـة واحـدة فقـط»[84].

إنّ الأدب يتعـدّى كونـه بنيـة لغويـة مغلقـة أو تشـكيلا لغويـا؛ وإنمـا ذلـك التشـكيل منبعـه الطاقـة الذهنيـة للمبـدع؛ فهـي السـبب في تشـكيله، وقبـل أن تعـبّر اللغـة عـن ذلـك، تسـبقها الأنشـطة الذهنيـة الحاملـة للمعنـى، الخلاقـة للنـص.

وإنمـا يحصـل ذلـك نتيجـة تفاعـل بـين مجـالات كثـيرة يتميّـز بهـا المبـدع باعتبـاره ذاتـا. وبالناقـد باعتبـاره ذاتـا فاحصـة للعمـل الأدبي.

معرفيا «ربما يجب علينا التفكير في تقسيم الذات إلى:

مكوّن مجتمعي: يُنشد مشاركة ذوات عارفة في إدراكاتها،

ومكـوّن شـخصي: يسـتوعب ويتمثـل وحـده التجـارب والانطباعـات الملائمـة لنفسـيته»[85].

وكل ذلك مثبت منقوش علامةً في خطابه، دالا على تصوراته.

1.4. هل توجد حواجز بين اللسانيات والأدب؟

مـا العلاقـة بينهـما؟ هـل اسـتفاد بعضهـما مـن بعـض؟ مـاذا اسـتفاد الأدب مـن اللسـانيات المعرفيـة؟ ومـاذا أفادهـا؟

أعتقـد أن الحواجـز بـدأت تـزول منـذ زمـن بعيـد. وتقـوّض بناؤهـا حـين جـاءت اللسـانيات المعرفيـة بامتـزاج تخصصاتهـا ومفاهيمهـا، ومـا تركتـه مـن أثـر في الدراسـة عـلى المسـتوى النظـري والإجـرائي.

يـرى بعـض الدارسـين أن اللسـانيات والأدب يلتقيـان في اللغـة. وهـذا أسـاس هـش كـما وصفـه توفيـق قريـرة في كتابـه: «الشـعرية العرفانيـة، 2015»، لأن اللغـة وسـيلة مشـتركة بـين كل العلـوم والتخصصـات، فـلا يوجـد تخصـص واحـد يعـبر عـن هويتـه بـدون لغـة.

يـرى محمـد صـلاح الديـن الشريـف «... أن اللغـة تبقـى هـي الخلاصـة العليـا لحركـة العقـل الإنسـاني في التاريـخ... هـي مـا يعـوض أن يكـون الإنسـان دماغـاً واحـدا عضويـا لا يمـوت، فاللغـة هـي تصـور المـادة العضويـة المدركـة لنفسـها وللكـون ولرحلتهـا الزمانيـة في مسترسـل الإمـكان بـين الوجـود والعـدم...»[86].

يعد هذا الوصف الذي قدمه محمد صلاح الدين الشريف وصفا فريدا للغة، عميقاً بليغاً مدركا لنواميسها المتنوعة، متصوراً وظائفها المتعددة في الوجود الإنساني. فهي المدركة لنفسها وللكون والتاريخ والوجود والعدم. **وهكذا فإن كلا من العقل والكون لغة.**

تعد النظرية الأدبية من المباحث المهمة في العلوم المعرفية بصفة عامة واللسانيات بصفة خاصة. وتعد اللغة هي الوسيلة الجامعة لكل هذه العلوم المعبرة عنها كلها، ولذلك فإن العلاقة بين اللغة أو اللسانيات والأدب تتجاوز لقاءهما في اللغة وحدها.

أدت التطورات المتسارعة في المجال المعرفي إلى إعادة النظر في تصورات كثيرة كانت سائدة من قبل في علوم بينها شراكة في دراسة طبيعة المعرفة أو طبيعة السلوك المعرفي الذكي[87]. فنتج عن ذلك:

1.1.4. الشعريات المعرفية: Cognitive Poetics

بوصفها جسرا بين الدراسات الأدبية واللسانيات، تدرس النشاط المعرفي المحدّد لماهية الاستجابة الأدبية، والبنية الشعرية، وتقديم الأساس النظري المعرفي المتعلق بالحدس الأدبي.

«تسهم الشعريات المعرفية في إنتاج تفسير للعقل المجسد، أو التأثير الذي نطلق عليه ترميزاً إشاريا إيقونيا، كي تجعل الأحاسيس والانفعالات في العقل كحقيقة...»[88].

يمكن أن نشير إلى العلاقة بين من يشتغلون بالأدب وبين من يشتغلون باللسانيات قد ظلت شبه مفقودة بل مفقودة في أحايين كثيرة، دون أن ينصب الاهتمام على ما يمكن أن يقدمه أحدهما للآخر. ويمكن أن نعد – في هذا المقام - رومان ياكبسون R. Jackobson استثناءً. فهو الدارس للشعر فإذا به يكتب مؤلفاتٍ مهمةً في اللسانيات مركزا على ما يكوّن الوظيفة الشعرية La fonction poétique.

كما يمكن أن نعدّ الكتاب المشترك لكل من «جورج لايكوف ومارك جونسون»: «الاستعارات التي نحيا بها، 1980»، بداية حقيقية لربط العلاقة بين اللسانيات

المعرفية والأدب، أدى إلى فتح كثير من النوافذ والأبواب وتعزيز «النقد الأدبي بفكرة أو مفهوم «شعرية معرفية»؛ أي بنظرية نسقية للذهن لا يكون الأدب فيها هامشيا، بل مركزيا في فهم النفسية البشرية»[89].

كما اهتم علماء المعرفة في الثمانينات بمسائل عديدة، لها علاقة بالمباحث الأدبية، أهمها:

الاستعارة، وفينولوجيا المعنى الذاتي، نذكر منهم بالإضافة إلى «لايكوف وجونسون» «مارك تورنر»، و«ليونارد تالمي»، و«جيل فوكونييه»....

يعني ذلك أن اللسانيات المعرفية، تعد الظاهرة اللغوية ظاهرة نفسية ذهنية لها علاقة بالظواهر الذهنية الأخرى المرتبطة بطبيعة المقولة البشرية، وبمختلف الاستراتيجيات الإدراكية المعرفية التي تحدد صلة الإنسان بعالمه[90].

لقد أدى هذا كله إلى توسيع مجال الدراسة بالنسبة للشعريات الأدبية، والعمليات العقلية والنفسية المتعلقة وتمثيلاتها، وكيفيات حضورها في فعل القراءة والتأويل.

ترى «إلين سبولسكيEllen Spolsky» في هذا الشأن، أن الشعريات المعرفية تستلزم الفرضيات الآتية:

- التصور المثال للعقل أو الدماغ يقيد إمكانيات الفعل الإنساني.

- الأعمال الإنسانية التي تشمل النتاج الفني تحاول دفع الحدود الخاصة بالفهم والمعرفة والتنظيم المحكم.

- دراسة القضايا [المعرفية] المتصلة بعمل فني ما، خاص ونسبي، تقوم على أساس تاريخي، ومن ثَمَ تتضمن الشعريات [المعرفية] التأويل المنتج من منظور القارئ، وكذلك النزعة الإبداعية والتاريخية والمعرفة الثقافية للكاتب[91].

يشير محمد غاليم، وهو بصدد الحديث عن موضوع الشعريات المعرفية إلى كتاب: «بيتر ستوكويل Peter Stockell»: «مقدمة للشعرية المعرفية» الصادر سنة 2002. ويورد رأيا مهما جدا في الموضوع؛ وهو أن «الشعرية المعرفية تعنى أساسا بقراءة الأدب، إذ يمكننا أن نقرأ الأدب متى أردنا، ولكن عندما نريد التفكير بصدد

مـا نفعلـه ونحـن نقـرأ... وعندئـذ لا نكـون مجـرد قارئـين، بـل نكـون خائضـين في علـم القـراءة. وموضـوع هـذا العلـم ليـس هـو مقوّمـات صنعـة النـص الأدبي وحدهـا، أو القـارئ وحـده، ولكنـه العمليـة الطبيعيـة للقـراءة المتمثلـة في تعامـل الاثنـين مـع بعضهـما. وهـذا شيء يختلـف تمامـا عـن نشـاط القـراءة البسـيط الأولي. فالنصـوص الأدبيـة مصنوعـات، ولكـن القـراءات موضوعـات طبيعيـة. إن القـراءات في الاصطـلاح العلمـي معطيـات، يمكننـا مـن خلالهـا تعميـم بنيـات ومبـادئ عـبر القـراءة والنصـوص. ومـن ثمـة، فالشـعرية المعرفيـة ليسـت دراسـة النصـوص وحدهـا... وإنمـا هـي دراسـة القـراءة الأدبيـة»[92].

نسـتخلص مـن هـذا عـدة قضايـا نراهـا مهمـة في موضـوع الشـعريات المعرفيـة في علاقتهـا بالقـراءة الأدبيـة ودراسـتها.

تشـكل قـراءة الأدب موضوعـا أساسـيا عميقـا للشـعريات المعرفيـة، ويرتبـط ذلـك بالهـدف مـن القـراءة. فلـماذا نقـرأ الأدب؟

إن قراءتـه ليسـت قـراءة عابـرة بـلا تفكـير، وإنمـا هـي مرتبطـة بالتفكـير وبفهـم المقـروء. وبربـط الصلـة بـين النـص وقارئـه الـذي عليـه أن يخـوض في علـم القـراءة. علـم قـراءة الأدب. لتكـون الشـعريات المعرفيـة دراسـة للقـراءة الأدبيـة.

وإنّ من الإشكالات المطروحة هي: كيف نقرأ الأدب؟

أعتقـد إنـه يوجـد تدخـل واضـح في ذلـك للكفـاءات الذهنيـة: مـن ذاكـرة، وذكاء، وانتبـاه، وتخيـل، وتصـوّر، وتمثّـل، وإدراك... وذلـك أن دراسـة الأدب تمثـل «جـزءا مـن الدراسـة الموسـعة للفنـون»[93]، «تقـوم فيهـا اللغـة بتخييـل العـالم»[94].

فعندمـا نقـرأ مثـلا: «النبـي المجهـول»، وهـو عنـوان لقصيـدة للشـاعر أبي القاسـم الشـابي، لابـد أن نشـير هنـا إلى أن القـراءة مرتبطـة بمقامهـا ومحاولـة اسـتحضار السـياقات المعرفيـة: النفسـية والاجتماعيـة والصحيـة[95] التـي كتـب فيهـا الشـابي قصيدتـه بعنوانهـا هـذا.

إن «**لفظـة النبـي**» وصفتهـا «**المجهـول**» تمثـلان رمـزا مـن الناحيـة السـيميائية، يصـور

خـبرة الشـاعر في اسـتحضار الصـورة الذهنيـة الخاصـة بالتجربـة النفسـية والاجتماعيـة التـي تميـزه.

تسـتدعي اللفظـة «**النبـي**»: الرسـالة والديانـة والمؤسسـة الدينيـة والأنظمـة الأخلاقيـة والقيميـة التـي تحكمهـا وتسـيرها. وتعنـي أيضـا محمـول الدعـوة التـي يحملهـا النبـي لقومـه. ويمكـن أن تسـتدعي لفظـة «المجهـول» مسـائل وقضايـا أخـرى. فمـن النبـي المجهـول؟ أهـو الشـاعر يـرى نفسـه نبيـا مجهـولا بـين قومـه؟ فهـم لا يدركـون أقوالـه ومقاصـده في شـعره، مثـل مـا يـدرك قـوم جـبران خليـل جـبران مثـلا، أقوالـه المتضمنـة في كتابـه «النبـي». أم النبـي هـو الشـفاء والصحـة؟

فهنالـك «مسـار ذهنـي يرتقـي فيـه القـول مـن مرتبـة الحقيقـة إلى المجـاز عـبر عمليـات ذهنيـة في غايـة التعقيـد، أو مسترسـل مـن العمليـات الرمزيـة في فضـاء ذهنـي واحـد»[96].

وربمـا تتضـح المسـألة أكـثر إذا أخذنـا مثـلا: رسـما كاريكاتيريـا، فإننا نلاحظ أن مسترسـل العمليـات الذهنيـة المعرفيـة يكمـن في شـكل الصـورة بوصفهـا نسـقا سـيميائيا بصريـا دالا، تؤثثـه علامـات إيقونيـة دالـة عـن الأغـراض والمقاصـد التـي يؤمهـا الكاريكاتـيري، بتركيـزه عـلى الحساسـية المتأثـرة لـدى المتلقـي، الكامنـة في مـا تتلقـاه العـين وكيفيـة إبصارهـا.

بالإضافـة إلى اللغـة المصاحبـة للرسـم التـي هـي جـزء أسـاسي فيـه، ووسـيلة للتخييـل لنـماذج مختلفـة مـن الأشـخاص مـع النظـام الإيقـوني، والتصـورات التـي يمثلهـا لنـماذج مختلفـة مـن الأشـخاص في أنشـطتهم المختلفـة، بكيفيـة فيهـا الكثـير مـن التشـويه، وفي ذلـك تكمـن الشـعرية في الرسـم الكاريكاتـيري. إنـه مقصـود ولا يقـوم بـه جميـع النـاس بـل هـو حكـر عـلى الفنـان الـذي يتقـن فنـه، ويخلـص في تصويـر خبرتـه الشـعورية وتقديمهـا في شـكل دال عـلى كيفيـة اسـتحضاره للصـورة الذهنيـة الخاصـة بذلـك.

2.1.4. السرديات المعرفية: Cognitive Narrative

لا توجـد مسـألة ذأو قضيـة تخلـو مـن الـسرد؛ فالـسرد طاقـة مؤطـرة لـكل الخطابـات؛

فبالإضافة إلى الخطاب الأدبي بأنواعه وأنماطه وأجناسه وأشكاله، توجد أيضا في خطابات أخرى مثل: الإعلام، والقانون والدين، والتاريخ، والسياسة...

والسرد فعل Acte إنساني ونشاط لغوي مبني على نشاط ذهني، وقدرات عقلية متنوعة لها تأثيرها في بناء السرد وفي حياة العقل.

فأن تسرد؛ يعني ذلك وجود سارد ومسرود له ومقام سردي بين السارد والمسرود له، ووسيلة للسرد. قد تكون اللغة التي تشكل لنا نصا أو خطابا، أو تكون وسيلة أخرى كاميرا مثلا: تشكل لنا صورة؛ فالصورة حكاية سردية، سواء أكانت صورة ثابتة أم صورة متحركة نابضة بالحياة كما نراه يوميا في الأشرطة العلمية، ونشرات الأخبار... وما نقرأ من صور مختلفة حقيقية أم كاريكاتيرية في الصحف والمجلات...

يتمثل موضوع النظرية السردية المعرفية Cognitive Narrative Theory كما عند محمد غاليم -في المعرفة السردية Narrative Cognition- التي تتعلق بالدور الذي تؤديه البنيات السردية داخل شبكة العلاقات والتقاطعات القائمة على مجموعة من الظواهر التي تدرسها العلوم المعرفية مثل: الإدراك، والمعرفة، والذاكرة، والعالم[97].

وكل ذلك يتضمن العلاقة الموجودة بين السرد والذهن، وكيفية تصورها تابعة «لكيفية تحديد موضوع البحث الذي يخصها ويتمثله الباحث، فمثلا:

«النص بكامله» في الهيرمينوطيقا و«البنية العميقة» في اللسانيات البنوية، و«العمليات المعرفية المشكلة للفهم» في الدراسات المعرفية، كلها تمثل موضوعات للسرد[98].

فأن تسرد يعني ذلك، أن تقوم بعمليات مثل: الوصف الإجمالي لشخصية روائية، أو الغوص في التفاصيل الدقيقة التي تصاحبها في كل نشاطاتها وممارساتها داخل الرواية، كما هو الشأن لشخصية «عبد المجيد بو الأرواح» في رواية «الزلزال» للطاهر وطار، وعلاقاتها المختلفة مع بقية الشخصيات الأخرى، وما تعلق بالأمكنة من حيث قربها أو بعدها، اتساعها أو ضيقها، علوها أو انخفاضها، امتدادها أو انحسارها، ظلمتها أو نورها... وكذلك من حيث تمثُّل الزمن؛ من حيث كونه لحظة

أو مـدة أو زمنـا دائريـا أو ممتـدا، ومـن حيـث أبعـاده: ماضيـا أم حـاضرا أم مسـتقبلا...

يعنـي هـذا أن الـسرد عمليـة تعتمـد عـلى المحـاكاة والتخييـل والتمثّـل الذهنـي والتمثيـل لـه في الواقـع، بالاعتـماد عـلى «**تفعيـل** مناطـق الدمـاغ نفسـها التـي تُفعَّـلُ في تجـارب مماثلـة في الحيـاة اليوميـة»[99].

ويعنـي أيضـا أن العمليـة السرديـة هـي عمليـة ذهنيـة مؤسسـة عـلى اسـتعدادات فكريـة ونفسـية ومعرفيـة ثقافيـة مخزّنـة، ذات فاعليـة في جعـل السـارد ينتقـل مـن الموجـود بالقـوة إلى الموجـود بالفعـل، أو مـن التمثـل إلى الفعـل. أي أن هنـاك قـوة في التفكـير – كـما يـرى إبراهيـم الفقـي- لهـا تأثيرهـا عـلى برمجـة الفكـر وصناعـة ملفـات العقـل واسـتراتيجيات معالجتهـا والتأثـير عـلى الذهـن وعـلى الجسـد والأحاسـيس والسـلوك والنتائـج المحققـة. ومـا يسـتتبع ذلـك[100].

ويمكـن الإشـارة هنـا إلى وجـود دراسـات عديـدة متعلقـة بعلـوم الأعصـاب وعلـم النفـس التجريبـي والنقـد الأدبي قـد تناولـت الـسرد مـن هـذه الناحيـة المتعلقـة بالدمـاغ/ العقـل وكفاءاتـه المتعـددة. وإذا كان هـذا يتعلـق بالسـارد، فـلا يجـب أن ننـس متلقـي السرد/القـارئ. وقـد توصـل علـماء النفـس والأطبـاء المتخصصـون في الأعصـاب إلى أنـه «عندمـا نقـرأ حكايـة نفهمهـا جيـدا، فإننـا نخلـق محـاكاة ذهنيـة للأحـداث الموصوفـة في النـص... فيلتقـط القـارئ -انطلاقـا مـن النـص- تفاصيـل عـن أعـمال الشـخصيات ومشـاعرها، ويدمجهـا في معرفـة شـخصية مسـتندة إلى تجاربـه الماضيـة. ويقـع تسـليم هـذه المعطيـات بعـد ذلـك إلى آليـة المحـاكاة الذهنيـة المبنيـة عـلى مناطـق في الدمـاغ. تتـلاءم بدقـة متناهيـة مـع المناطـق المثـارة عندمـا ينجـز النـاس أنشـطة مماثلـة في العـالم الحقيقـي، أو يتخيلونهـا أو يلاحظونهـا»[101].

3.1.4. السرديات بوصفها تصورا معرفيا:

تقـع السرديـات المعرفيـة بـين عـدة تخصصـات تنظيريـة وتأويـلات للعلـوم الإنسـانية، واختصاصـات تجريبيـة علميـة أخـرى.

وتمثـل السرديـات المعرفيـة بعـدا منهجيـا في التحليـل والدراسـة، يربطهـا بتحليـل

الخطاب في صياغة مقترح نظري للبحث في مكوّنات السرد وطرائق تشكيل أنساقه. الأمر الذي أدى إلى إثراء البعد المعرفي للسرديات، وإكسابها طابعا شموليا عاما بالرغم من تعدد اتجاهات تحليل النصوص السردية واختلافها، تأكيدا لأهمية المستويات التطبيقية التي بلورتها في تعيينها لعناصر بناء الحكي، وطرائق إنتاجها للمحكي، وكيفيات السرد، بالنظر إلى السياقات الثقافية والمعرفية العامة[102].

كما تقيم السرديات جسوراً للتواصل مع السيميائيات La sémiotique بما أنها تدرس العلامة كيفما كان نوعها بمنظور شارل سندرس بيرس Charles Sanders Peirce في نسقها الدال: اللساني والإيقوني.

فالنص الأدبي بوصفه سردا روائيا أو قصصيا أو حتى شعريا يمثل علامة سيميائية كبرى، تتألف من علامات جزئية صغرى بينها تضام وانسجام بين **القوالب اللسانية** التي تشمل: التركيب والتخييل والسياق. **وبين القوالب المعرفية** التي تشمل: القالب الاجتماعي والنفسي والثقافي. وينتج عن ذلك **القالبية التفاعلية الخطابية.** باشتغال التمثيل الذهني في ذلك التفاعل الحاصل بين: اللغة والعالم والمعرفة[103].

4.1.4. السرد طريقة في التفكير:

عندما يسرد الإنسان فإنه يقوم بعملية استعادة وقائع معينة، تتعلق بأحداثٍ يرتبها، ويربط بينها بالنظر إلى المقام والمتلقي والوضع المشترك بينهما Code. ويعد هذا طريقة في التفكير وقد يكون الفكر بسيطا ومع ذلك له برمجة راسخة يكتسبها من محيطه، يجعله قوة راسخة، ومرجعا للعقل يستخدمه الإنسان داخليا وخارجيا[104].

وبهذا فإن العقل الذي يفك مواضعات النص السردي، قد تحول إلى العقل الذي يدركها.

وإما أن يتمثل هذا العقل في الكاتب بوصفه قائما بفعل السرد، هادفا من ورائه إلى التواصل. وتكون الحكاية/القصة السردية تمثيلا ذهنيا.

وإما أن تكون الحكاية في حد ذاتها تمثيلا ذهنيا، كما أن النشاط الذهني للقارئ

لـه دخـل في ذلـك باعتبـار القـارئ شريـكا أساسـيا في الـسرد كنشـاط فكـري يركـز عـلى أهميـة التواصـل الـسردي في تطويـر الـذكاء البـشري، وتكويـن العلاقـات الاجتماعيـة[105].

ومـن بـين السـمات المميـزة للكائـن الـذكي: حـل المشـاكل؛ أي انتقـاء الأعـمال التـي تحقـق الأهـداف. ويعـد نمـوذج الحبكـة نموذجـا سرديـا تحتـل فيـه أنشـطة حـل المشـاكل لـدى المشـاركين في البنيـة السرديـة مكانـا مهـما[106].

تأسيسـا عـلى مـا سـبق فـإن كاتـب قصـة أو روايـة مثـلا؛ والقـارئ لهـا كل منهـما لـه كيفيـة في التفكـير؛ الأول لـه كيفيـة في بنـاء الـسرد وتشـييده، والثـاني لـه كيفيـة في فـك المواضعـات المتعلقـة بذلـك، وممارسـة نشـاط التأويـل. وكل منهـما لـه قدراتـه الذهنيـة الخاصـة، واشـتغاله الذهنـي المميـز.

وقـد اسـتلهم الباحثـون في الـسرد بِعَـدِّهِ طريقـة في التفكـير عـدة آراء تتعلـق بأهميـة القصـة مثـلا: مـن الناحيـة المعرفيـة فَمَـنْ وضَـعَ فرضيـةً مفادهـا أن كل الذكريـات لهـا شـكل سردي مثـل: «روجـر شـناك Roger Schank. ومـن أشـار إلى أن البشريـة قـد اخترعـت اللغـة لتلبيـة حاجياتهـا في سرد الحكايـات... بـدلا مـن نـشر القصـص مـن خـلال توسـيع قـدرات التواصـل التـي تسـمح بهـا اللغـة مثـل «Mark Turner».

واقترح «جيروم برونر (**Jerome Burner**» [107] ثلاث أطروحات:

1- القصة تبني الواقع.

2- الهوية بناء سردي.

3- يمكّننا السرد من الحصول على نظرية للعقل.

وتطويـر هـذه النظريـة لا غنـى عنـه لحيـاة المجتمـع، ويترتـب عـلى ذلـك أن القـدرة السرديـة هـي الأسـاس لتنظيـم المجتمعـات البشريـة[108].

نشير إلى أن هذه المسائل قد طالها الكثير من النقد مثلا:

تضخيـم الأهميـة المعرفيـة للقصـة، فـلا يمكـن أن نعـدّ القـدرة السرديـة وحدهـا هـي الأسـاس في تنظيـم المجتمعـات البشريـة، وإنمـا يمكـن أن نعدهـا أساسـا مـن الأسـس، وعنـصرا مـن العنـاصر المسـاهمة في ذلـك.

وقد وجه «جالين ستراوسن Galen Strawson» نقدا شديدا لهذا الرأي[109]، كما رأى «هيرمان David Herman» «أن التجربة الإنسانية ليست مجرد موضوع للسرد بل يمكن أن تكون ممكنة من خلال فعل السرد»[110].

وهذا معناه أن القصة آلية من آليات التفكير يتم استعمالها لتحقيق أغراضٍ تواصلية محددة. فيكون السرد بناء على هذا، طريقة في تمثيل الحياة بأشكالٍ مختلفة من الخطاب تحتاج إلى الانفتاح على القراءة وتعددها، وطرحها للأسئلة من مثل:

كيف نقرأ عملا أدبيا سرديا قراءة معرفية؟ ما هي المواصفات التي تجعله يقبل ذلك؟ كيف نتواصل معه؟ كيف تكون استجابتنا نحوه؟ لماذا مثلا عندما نقرأ رواية موسم الهجرة إلى الشمال للطيب صالح يشد انتباهنا شخصية مصطفى سعيد بالنظر إلى باقي الشخصيات؟ ما الطبيعة الجمالية للسرد في رواية مثل الجازية والدراويش لعبد الحميد بن هدوقة؟ ما طبيعة المعرفة المجسدة في رواية الطاهر وطار: قصيدُ في التذلّل؟

وتظل الأسئلة مفتوحة بانفتاح القراءة، مع إشكالية العلاقة بين العلوم المعرفية والسرديات.

فإذا كانت العلوم المعرفية بإمكانها أن تقدم فوائدَ وقد حصل ذلك فعلا للسرديات. فماذا يمكن أن تقدم السرديات للعلوم المعرفية؟

خاتمة

جاءت العلوم المعرفية ومنها اللسانيات، نتيجة للتطورات الكبيرة التي شهدتها مع دوسوسير وأتباعه إلى أن جاء تشومسكي بالنحو التوليدي التحويلي. وقد كان لدارسين آخرين جاؤوا بعده، منهم تلاميذه، أمثال: «جاكندوف»، و«لايكوف، وجونسون»، وفودور»، وبرونر»، و«فوكونييه»، و«تالمي»، و«لانكاكر»... دور حاسم في ذلك، فقد أعادوا للدراسة اللسانية قيمتها المتمثلة في المعنى الذي لم يتم التركيز عليه منذ دوسوسير في اللسانيات البنوية الوصفية.

ولقد أسهم البحث عن المعنى في تطوير البحث اللساني والنقدي بمدارسهما المتعددة. وصار للاستعمال اللغوي وظيفة أساسية في المعنى بالنظر إلى الأوضاع التي تقتضيها مقامات التخاطب والتداول المتنوعة بتنوع أنشطة الحياة الإنسانية.

واللغة كما قرر العلماء العرب القدامى وضع واستعمال، بنية وخطاب، حقيقة ومجاز، لسان وكلام... فنتيجة حسهم اللغوي المرهف، وحذقهم الدقيق للغة من حيث وضعها وما يقتضيه من خواص في التركيب، ومن حيث استعمالها وما يقتضيه في التعبير عن أغراض الإخبار والإعلام، والإفادة، لم يفرقوا بين المستويين؛ وإنما أعطوهما أهمية في الدراسة اللغوية، فهي تحصل بتفاعل بعضهما ببعض... وصولا إلى المستوى البلاغي. وهو أرقى مستويات الدراسة والتحليل. ولكأني بالتطورات التي عرفها الدرس اللساني الغربي وصولا إلى العلوم المعرفية، يصل -من خلالها- إلى النتيجة نفسها. إلى بلاغة الاستعمال الكامن في الخطابات والنصوص. إلى مستوى التحليل البلاغي الذي يستثمر تضافر التخصصات مثل: فلسفة اللغة، والمنطق، واللسانيات، وعلم النفس المعرفي، والأنثروبولوجيا، وعلوم الأعصاب، وعلوم الحاسوب، والذكاء الاصطناعي، وتشغيل المفاهيم الذهنية التصورية مثل: التذكر، والانتباه، والتصور، والخيال، والتمثل، والإدراك. وما ينتج عن ذلك من مفاهيم أخرى مثل: الفهم، والتحليل، والتأويل، وأنشطة القراءة بوصفها سيرورة ذهنية معرفية بصرية.

لقد جاءت العلوم المعرفية لتدرس المفاهيم والتصورات اللغوية في نسقها الاستعاري لتحصيل المعنى الذي أبعد من المداخل اللسانية البنوية الوصفية باعتباره مباشرا وثانويا، ولا يمكن القبض عليه من ناحية أخرى. وقد أدى هذا إلى الانتقال من:

الدلالة التركيبية كما كان عند تشومسكي إلى الدلالة المعرفية كما عند تلاميذه وعلى رأسهم «جاكندوف»، وما يتعلق بها من مفاهيم معرفية مهمة مثل: البنية التصورية المجسدة، والاستعارة التصورية/المفهومية، وتمثيل المعنى الموسوعي، والفضاءات الذهنية... الأمر الذي جعل الحواجز تزول بين اللسانيات والأدب بوصفهما مبحثين معرفيين ينتميان إلى الثقافة/المعرفة البينية.

الإحـالات والمراجع

1- ينظـر للمزيـد مـن المعلومـات: حسـان الباهـي، الـذكاء الاصطناعـي وتحديـات مجتمـع المعرفـة، دار أفريقيـا الـشرق، الـدار البيضـاء، المغـرب، 2012، ص36-36. والأزهـر الزنـاد: نظريـات لسـانية عرفنيـة، منشـورات الاختـلاف والـدار العربيـة للعلـوم، ط1، 2010، ص13. وينظـر أيضـا: محمـد غاليـم، اللسـانيات والأدب مبحثـان معرفيـان، مجلـة البلاغـة والنقـد الأدبي، عـدد3، 2015، ص179.

2- **جـورج لايكـوف:** ولـد سـنة 1941 بالولايـات المتحـدة الأمريكيـة، أسـتاذ اللسـانيات المعرفيـة بجامعـة كاليفورنيـا (بـيركلي) منـذ 1972. عـرف بأطروحتـه عـن الاسـتعارة التصوريـة؛ فقـد اعتبرهـا مـن الآليـات المركزيـة في الفكـر البـشري. دافـع عـن أطروحـات تشومسـكي في البدايـة ثـم ثـار ضدهـا بعـد ذلـك وانتقدهـا بسـبب عـدم اهتـمام تشومسـكي بالآليـات الدلاليـة وعـدم إعطائهما ما تسـتحقه مـن قيمـة في نظريـة النحـو التوليـدي. طبـق لايكـوف أطروحاتـه عـن الاسـتعارة في مجـال السياسـة، واشـتهر بأطروحتـه عـن الذهـن المتجسـد القائلـة بـأن الفكـر ناتـج عـن الأدمغـة والأجسـاد. ويسـتند إلى بعـض افتراضـات الأنثروبولوجيـا الثقافيـة، وأطروحـات المذهـب البنـائي التفاعـلي. مـن مؤلفاتـه:

- الاستعارات التي نحيا بها سنة 1980 مع جونسون.
- النساء والنار، والأشياء الخطيرة: ما تكشفه المقولات عن الذهن (1987).
- مـن أيـن أتـت الرياضيـات؟ كيـف حمـل الذهـن المتجسـد الرياضـات إلى الوجـود؟ سـنة 2000 (بالاشـتراك مـع رافاييـل نونـير)/ النظريـة المعـاصرة للاسـتعارة. ينظـر:

Kutubpdf,http://www.kutubpdf.cdfe.info.

3- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص15.

4- ينظر: عبد الكريم غريب، المنهل التربوي، منشورات عالم التربية، المغرب، ط1، 2006، ص844.

5- عنـوان فرعـي لكتـاب حسـان بوكيـلي، المعجـم الذهنـي/ بحـث في آليـات النفـاذ النفسـية والمعرفيـة، منشـورات الزمـن، سلسـلة شرفـات، 66، سـلا، المغـرب، 2015.

6- ينظر: المرجع نفسه، ص7.

7- ينظـر: حسـان الباهـي، الـذكاء الاصطناعـي وتحديـات مجتمـع المعرفـة، حنكـة الآلـة أمـام حكمـة العقـل، إفريقيـا الـشرق، المغـرب، 2012، ص34-35.

8- المرجع نفسه، ص40.

9- محـي الديـن محسـب، الإدراكيـات -أبعـاد ابسـتيمولوجية وجهـات تطبيقيـة-، كنـوز المعرفـة،

عـمان، الأردن، ط1، 2017، ص23-24.

10- المرجع نفسه، ص24. مع الملاحظة أن محي الدين محسب يستعمل العلم الإدراكي.

11- المرجع نفسه، ص240.

12- المرجع نفسه، ص24.

13- ينظر: حسان الباهي، الذكاء الاصطناعي وتحديات مجتمع المعرفة، ص39.

14- تتلمـذ عـلى يـد تشومسـكي وغـيره مـن كبـار علـماء اللسـان، درس علـم النفـس والفلسـفة والموسـيقى، ولـد في 23-01-1945، يـدرّس حاليـا في جامعـة توفتـس بأمريـكا، يديـر مـع "دانيـال دينـات" معهـد العلـوم المعرفيـة. عـرف باختصاصـه في علـم الدلالـة، ويعـد رائـدا لعلـم الدلالـة التصـوري. ينظـر للمزيـد: عبـد الـرزاق بنّـور، ترجمتـه لكتـاب جاكنـدوف، علـم الدلالـة والعرفانيـة، المركـز الوطنـي للترجمـة بتونـس، 2010، ص5.

15- جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ترجمة: عبد الرزاق بنور، ص14.

16- المرجع نفسه، ص14-15.

17- ينظـر: محمـد غاليـم، اللغـة والأجنـاس الأدبيـة في السـياق المعـرفي، ضمـن المؤتمـر الـدولي الثـاني عـشر للنقـد، إربـد، الأردن، 2008، المجلـد2، ص509.

18- ينظـر: محـي الديـن محسـب، الإدراكيـات، المقالـة الأولى: إطلالـة تاريخيـة ابسـتمولوجية، بـدءا مـن الصفحـة 9.

19- ينظـر: مقدمتـه لكتـاب عبـد الجبـار بـن غربيـة، مدخـل إلى النحـو العرفـاني، مسـكلياني للنـشر، كليـة الآداب والفنـون والإنسـانيات، تونـس، ط1، 2010، ص8-9.

20- جاكندوف، علم الدلالة والعرفانية، ص23-24.

21- ينظـر: ميهـا يـو أنطوفيتـش، مكانـة علـم الدلالـة العرفـاني في العلـوم العرفانيـة المعـاصرة، ترجمة: حليمـة بـو الريـش، مجلـة فصـول، عـدد 100، خـاص بالإدراكيـات، الهيئـة المصريـة العامـة للكتـاب، المجلـد 4/25، مـصر، 2017، ص97.

22- ينظـر: محمـد الوحيـدي، اللغـة والمعرفـة: قضايـا البحـث البيمعـرفي "مقاربـة أوليـة لنمـوذج العلاقـة بـين اللسـانيات وعلـم المعرفـة"، مجلـة فصـول، عـدد 100، ص323-324.

23- ينظـر: جميـل حمـداوي، نظريـات النقـد الأدبي في مرحلـة مـا بعـد الحداثـة، مكتبـة سـلمى الثقافيـة، الربـاط، المغـرب، 2015، ص109 ومـا بعدهـا.

24- محمد الوحيدي، اللغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي...، فصول، عدد 100، ص234-325.

25- ينظر: ميها يو أنطوفيتش، مكانة علم الدلالة العرفاني...، ترجمة: حليمة بو الريش، مجلة فصول، عدد 100، ص98.

26- Andeler D., Sciences cognitives, Encyclopédia, Universalis, V65, p73.

وينظر: بشير إبرير، استعمال اللغة العربية بين الواقع والآفاق -تصور لمستقبل الخطاب في الجامعة-، مجلة اللغة العربية، العدد6، المجلس الأعلى للغة العربية، الجزائر، ص216.

27- ينظر: حسان بوكيلي، المعجم الذهني: بحث في آليات النفاذ النفسية والمعرفية، ص12-13.

28- المرجع نفسه، ص13-14.

29- ينظر: محي الدين محسب، الإدراكيات، ص42.

30- فيلسوف فرنسي من مواليد 1952 بباريس، من بين مؤلفاته:

- Philosophie de langage et de l'esprit, 2008.
- Literal Meaning, 2003.
- Perspective Thought, 2007.
- Truth Condition, 2010.
- Files Mental, 2012.
- Mental Files in Flux, 2016.

ينظر: الحسين الزاوي ، ترجمته لكتاب فرانسوا ريكانتي ، فلسفة اللغة و الذهن ، ابن النديم للنشر و التوزيع ، الجزائر ، دار الروافد ، لبنان ، ط1 ، 2016 ، الغلاف.

31- فرانسوا ريكانتي، فلسفة اللغة والذهن، ترجمة: الحسين الزاوي، ابن النديم للنشر والتوزيع، الجزائر، دار الروافد، لبنان، ط1، 2016، ص10.

32- ينظر: بناصر البوعزاتي، خصوبة المفاهيم في بناء المعرفة، دار الأمان، الرباط، ط1، 2007، ص141.

33- المرجع نفسه، ص143.

34- جورج أرميتاج ميلر George Armitage Miller، ولد في 1920/02/03، وتوفي يوم 22 يوليو 2012، عالم نفس أمريكي، أحد آباء علم النفس الإدراكي، ساعد في تأسيس اللسانيات النفسية كمجال مستقل للبحث ضمن علم النفس. تركزت دراساته الأولى على فهم الكلام وإنتاجه، وعمل لاحقا في الذاكرة البشرية، وفي أشهر أوراقه الرقم السحري "7"، الذي عكف على دراسته لمدة سبع سنوات مركزا في ذلك على اختبار قدرة البشر العاديين على التذكر، ووضع نتائج بحثه في دراسة سمّاها: "الرقم السحري، زائد أو ناقص اثنين (+2/7-). ويكيبديا: الموسوعة الحرة.

35- محمد الوحيدي، اللغة والمعرفة: قضايا البحث البيمعرفي...، فصول، عدد 100، ص327.

36- فيفيان إيفانز وميلاني جرين، ما هو علم الدلالة الإدراكي، ترجمة: أحمد الشيمي، مجلة فصول، عدد 100، 2017، ص79.

37- ليونار تالمي: أستاذ اللسانيات والفلسفة في جامعة بوفالو بنيويورك، مدير مركز العلوم المعرفية، عرف بصفة خاصة بأعماله في اللسانيات المعرفية، وبالتحديد في علم الدلالة الإدراكي. ينظر: فيفان إفانز جرين: طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة: عبده العزيزي، فصول، ص59.

38- ينظر: حسان بوكيلي، المعجم الذهني: بحث في آليات النفاذ النفسية والمعرفية، ص6.

39- ينظر: عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني، ص18-19.

40- المرجع السابق، ص14-15.

41- المرجع نفسه، ص16-17.

42- ينظر: محمد الوحيدي، اللغة والمعرفة...، فصول، عدد 100، ص327.

43- ينظر: المرجع السابق، ص329-330.

44- ينظر: حسان بوكيلي، المعجم الذهني: بحث في آليات النفاذ النفسية والمعرفية، ص14.

45- ينظر: المرجع نفسه، ص151-16.

46- جيري آلان فودور: ولد سنة 1935 في نيويورك، فيلسوف أمريكي. واحد من الممثلين الرئيسيين للوظيفية في فلسفة العقل، مؤسس نظرية الحسابات الذهنية، ألف مجموعة من الأعمال المهمة في العلوم المعرفية حول افتراض نمطية العقل وحول لغة الفكر. نال الدكتوراه سنة 1960 بإشراف هيلاري بوتنام. ينظر: كاترين فوكس: هل توجد لسانيات إدراكية؟ ترجمة: لطفي السيد منصور، فصول، ص74.

47- ينظر: ميها يو أنطوفيتش، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ترجمة: حليمة بوالريش، فصول، ص98.

48- ينظر: حسان بوكيلي، المعجم الذهني: بحث في آليات النفاذ النفسية والمعرفية، ص18.

49- المرجع نفسه، ص21.

50- عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني...، ص28.

51- ينظر: ميها يو أنطونوفيتش، مكانة علم الدلالة في العلوم العرفانية المعاصرة، ترجمة: حليمة بوالريش، فصول، العدد100، ص98.

52- ينظر: عبد الجبار بن غريبة، مدخل إلى النحو العرفاني...، ص17-18.

53- المرجع السابق، ص47.

54- ينظر: فيفيان إيفانز وميلاني جرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة: عبده العزيزي، مجلة فصول، عدد 100، ص38.

55- ينظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، عدد 3، 2015، ص184.

56- ينظر: فيفيان إيفانز وميلاني جرين، طبيعة اللسانيات الإدراكية، ترجمة: عبده العزيزي، مجلة فصول، عدد 100، ص80.

57- ينظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، ص184.

58- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص184.

59- ينظر: عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة - دراسة بيولوجية تطورية في إطار اللسانيات العرفانية العصبية، كنوز المعرفة، ط1، 2017، ص392.

60- هي آخر رواية للطاهر وطار.

61- الرواية، ص48.

62- ينظر: كتابه المعنى والتوافق –مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي- منشورات معهد الدراسات والأبحاث للتعريب، الرباط، 1999. وانظر: عبد الكبير الحسني، البنيات الدلالية للزمن في اللغة العربية –من اللغة إلى الذهن- ، كنوز المعرفة، عمان، الأردن، ط1، 2015، ص209.

63- عبد الرحمن محمد طعمة، البناء العصبي للغة...، ص400.

64- مارك جونسون: ولد سنة 1949 بالولايات المتحدة الأمريكية، أستاذ الفنون الحرة والعلوم بشعبة الفلسفة بجامعة أوريغون. عرف بإسهاماته في فلسفة التجسد والعلم المعرفي. قدم أعمالا مشتركة مع زميله لايكوف منها: الاستعارات التي نحيا بها. وقدم أعمالا خاصة به وحده منها: الجسد في الذهن: الأسس الجسدية للمعنى والخيال والعقل (1987)، معنى الجسد: جماليات الفهم البشري (2007). ينظر: إيزابيل أوليفيرا: الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية، ترجمة: حسن دواس، فصول، ص131.

65- ينظر: عبد العزيز الحويدق، نظريات الاستعارة في البلاغة الغربية من أرسطو إلى لايكوف ومارك جونسون، كنوز المعرفة، ط1، 2014، ص259.

66- ينظر: لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص96. وانظر المرجع السابق، ص 267.

67- أبو حامد الغزالي، المقصد الأسنى في أسماء الله الحسنى، تحقيق: بسام عبد الوهاب الجابي، دار الجنان والجابي، قبرص، ط1، 1987، ص24-25.

68- ينظر: ما هو علم الدلالة؟، ترجمة: أحمد الشيمي، فصول، عدد 100، ص82-83.

69- جيل فوكونييه: من أوائل علماء المعرفة المؤسسين للعلم، اشتهر بنظرية الفضاءات الذهنية (1994)، ونظرية المزج التصوري أو المفهومي مع تورنر، وترى النظرية أن البشر يقومون ببناء المعنى بواسطة المزج المفهومي الذي تنشأ فيما سماه الأزهر الزناد العرفنة الخلفية. وقد ترجم النظرية كاملة بعنوان: "تورنر: مدخل في نظرية المزج"، وحدة بحث اللسانيات العرفنية واللغة العربية، تونس، ط1، 2011.

70- ما هو علم الدلالة الإدراكي؟، ترجمة: أحمد الشيمي، فصول، ص84.

71- يمكن أن نضع في اعتبارنا أيضا، أن المسؤول السياسي في بلادنا (الجزائر)، يعاني في أغلب الأحيان من مشكل اللغة العربية وغير متجذر في ثقافتها، ولذلك لا يجد العبارات المناسبة للمقام المناسب، فتكون عبارة خط أحمر سهلة بالنسبة له، يستعملها ليختفي وراءها دون الخوض في تفاصيل كثيرة تحتاج إلى استعمالات لغوية كثيرة.

72- عبد الرحمن طعمة، البناء العصبي للغة...، ص412-413.

73- يعد اللساني المعرفي الأمريكي Mark Turner من المؤسسين للبلاغة المعرفية، ولد سنة 1954، اهتم في أبحاثه بالنظريات المعرفية عن الاستعارة والكناية وبلاغة الإنتاج الأدبي، من ذلك تطبيقه لنظرية الاستعارة التصورية للايكوف. وكذلك نظرية المزج التصوري بالاشتراك مع صاحبها جيل فوكونييه ونشرا بخصوصها عددا من الأبحاث والكتب. يعمل أستاذا جامعيا للعلوم المعرفية في جامعة وستيرن روزيرف بأمريكا. راجع: عبد الرحمن محمود طعمة، البناء العصبي للغة...، ص404.

74- ينظر: المرجع نفسه، ص412.

75- ينظر: بيتر سكويل، عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية، ترجمة: بهاء الدين محمد مزيد، فصول، عدد 100، ص244. وقد أبدلت الأمثلة المقدمة بأخرى.

76- ينظر: إيزابيل أوليفيرا، الاستعارة الاصطلاحية من وجهة نظر عرفانية، ترجمة: حسن دواس، فصول، ص137.

77- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، عالم الكتب، دار الجيل، ط3، 1983، الجزء الأول، ص262.

78- ذهبية حمو الحاج، الإبداع في التداولية المعرفية، فصول، عدد 100، ص339.

79- شيفر جون ماري، الفن في العصر الحديث، ترجمة: فاطمة الجيوشي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، 1996، ص140. وانظر أيضا: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات،

ص516.

80- ينظر: المرجع نفسه، ص462.

81- ينظر: مارك تورنر، الدراسة الإدراكية للفن واللغة والأدب، ترجمة: رانية خلاف، فصول، ص139.

82- ينظر: نبيل علي، الثقافة العربية وعصر المعلومات، ص518.

83- ينظر: بيتر سكويل، عوالم الخطاب والفضاءات الذهنية، فصول، ص346.

84- كين روبنسون، صناعة العقل: دور الثقافة والتعليم في تشكيل عقلك المبدع، ترجمة: رامة موصلي، حلب، سورية، ط1، 2013، ص149.

85- دو فوكيمّه، مسائل معرفية في النقد الأدبي، مسائل إبستمولوجية، ترجمة: محمد بن الرافه البكري، فصول، عدد 100، ص209.

86- محمد صلاح الدين الشريف، الشرط والإنشاء النحوي للكون/ بحث في الأسس البسيطة المولدة للأبنية والدلالات، منشورات كلية الآداب، جامعة منوبة، تونس، سلسلة اللسانيات، المجلد16، 2012، ص43/1. وانظر: عبد الرحمن محمود طعمة، البناء العصبي للغة، ص286.

87- ينظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، مجلة البلاغة والنقد الأدبي، ص 179.

88- ماجريت ه. فريمان، انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، ترجمة: محمد سمير عبد السلام، فصول، عدد100، ص165.

89- محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، ص180.

90- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

91- مارجريت ه. فريمان، انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، ترجمة: محمد سمير عبد السلام، فصول، ص167. وقد أبدلت كلمة "إدراكية" بكلمة "معرفية" لينسجم المصطلح مع ما استعملته من البداية، وليس اعتراضا على مفهوم المصطلح.

92- محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، ص182. وقد أحال إلى ستوكويل، 2002، Cognitive Poetics، ص1و2، وص165. وأشير أيضا إلى أنني قد أوردت النص كاملا على طوله؛ لأهميته في نظري.

93- مارجريت ه. فريمان، انهيار الحاجز بين الدراسات الأدبية واللسانيات، ص167.

94- المرجع نفسه، ص169.

95- لأن الشاعر كان مريضا ومات من مرضه في مقتبل عمره (26 سنة).

96- صالح بن الهادي رمضان، التواصل الأدبي من التداولية إلى الإدراكية، النادي الأدبي بجدة، الدار البيضاء، المركز الثقافي العربي، ط1، 2015، ص162.

97- ينظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، ص184-185.

98- ينظر: المرجع نفسه، ص186.

99- ماري لوريان، السرديات والعلوم المعرفية علاقة إشكالية، ترجمة: زهير القاسمي، فصول، ص186.

100- ينظر: إبراهيم الفقي، قوة التفكير، مكتبة عراس، سطيف، الجزائر، 2010، ص10.

101- ماري لورريان، السرديات والعلوم المعرفية، فصول، ص186-187.

102- ينظر: عبد الفتاح الحجمري، الجملة السردية: التخييل وتركيب السرد، مقاربة مقطعية لرواية مغربية، ضمن الرواية المغربية أسئلة الحداثة، مختبر السرديات، دار الثقافة، المغرب، 1996، ص95.

103- ينظر: أحمد العاقد، تمثيلات الحداثة في التواصل السردي، ضمن: الرواية المغربية أسئلة الحداثة، ص41/40.

104- ينظر: إبراهيم الفقي، قوة التفكير، ص11.

105- ينظر: ماري لورريان، السرديات والعلوم المعرفية...، ترجمة: زهير القاسمي، ص196.

106- ينظر: محمد غاليم، اللسانيات والأدب مبحثان معرفيان، ص190.

107- جيروم برونر، من مواليد 1 أكتوبر 1915، توفي في 5 يوليو 2016، عالم نفس أمريكي، ساهم في تطوير علم النفس المعرفي، ونظرية التعليم المعرفية في ميدان علم النفس التربوي، ومن مبادئ برونر التصنيف: «أن تدرك يعني أن تصنف، أن تتصوّر يعني أن تصنف، أن تتعلم يعني أن تنشء تصنيفات، أن تتخذ قرارا يعني أن تصنف». رأى أن التفكير على نمطين: نمط سردي ونمط نموذجي.

يقوم الدماغ في التفكير السردي بتفكير تسلسلي مرتكز على الفعل. ويتجاوز الدماغ في التفكير النموذجي الجزئيات ليحقق معرفة نظامية وتصنيفية. https://www.google.dz

108- ينظر: ماري لورريان، السرديات والعلوم المعرفية...، ترجمة: زهير القاسمي، ص196.

109- ينظر: إحالة المترجم في الصفحة 204 من فصول، هامش 32.

110- ينظر: ماري لورريان، السرديات والعلوم المعرفية...، ترجمة: زهير القاسمي، ص197.